المرأة الجديدة

في مركزها الاجتماعي

عمل

الكاتب الاجتماعي الشهير

محمد السباعي

عني بنشره وطبعه [illegible]

حسن وحسين

طبع بمطبعة السعاده

المقدمة

إن ما يؤخذ على النساء من طبائع الصخب والسلاطة وسوء الخلق والشراسة وميلهن الى المخاصمة والعراك والتسخط والتبرم ورفع العويل والصياح وارسال الزفير والشهيق وسكب الدموع — هذه الطباع التي أسخطت الرجال على النساء وحملتهم على اتهامهن بسوء الخلق وحب الشر إنما هي ثمار أنتجتها عين هذه التربة التى أنتجت الحلو الطيب من محاسن شيمهن ومحامد صفاتهن — كالرحمة والحب والحنان والرقة. فأنت ترى فى المرأة الضدين من سوء الخلق الغامض السبب المجهول العلة وحسن الايثار ومحمود التضحية وخالص الوفاء. فلا تحسبن أن هذا التناقض ليس هو الا مظهراً من مظاهر العناد الكاذب والاستبداد الباطل ومحض الدلال والتجنى وانه لذلك مما تستطيع المرأة أن تملكه بسهولة وأن تكف عنه وتمسك بأيسر مجهود من الارادة والعزيمة

إن دائرة الحب فى المرأة أوسع نطاقاً بكثير وأفسح

مجالاً منها فى الرجل . وتأثيرها فى الدماغ والأعصاب مما يجب على المرء أن يفهمه ، فالمرأة فتانة للرجل بقوة مالها من صفات الأنوثة ، وبقوة هذه الصفات ذاتها قد يصبح تأثيرها عليه شيطاناً جهنمياً ، أو ليس من خلقتها الطبيعية فأسندت إليها وظائف أحداث الحياة وصوغها وتصويرها ثم تغذيتها وإطعامها وتربيتها جديرة أن تكون ذات أجهزة وعدد غريبة التكوين معقدة التركيب معتاص على الأذهان فهمها ومعرفة أسرارها ؟

إن وظيفة المرأة كحامل للجنين وتعقد تركيب طبيعتها لما أثار العجب والحيرة فى جميع العصور بين أنواع الشعوب كافة ، ومن ثم ما سجع به شعراء الغرام أمثال بارنز وشلى ودى موسيه من أن المرأة مخلوق أعجب من الرجل وأغرب ومن ثم حيرة القسوس ورجال الأديان فى أمر المرأة وتناقض أقوالهم فيها وتباين مذاهبهم : تارة يعظمونها فيرفعونها الى أعلى عليين ، وأخر يبخسونها فيسقطونها الى أسفل سافلين — آونة يخوفوننا منها الداهية الدهياء والطامة الكبرى

والخطر الأكبر على ركن الايمان واليقين ، وصرح العقيدة والدين ، وآونة ينعتونها بالسراج الهادى الى النور الالهى من حلك الظلام ، والسفينة المنجية من بحر العطب الي ساحل السلام ، وانها الخير العميم ، والصفر المقيم ، والملاك الكريم ، ونجاة الأنفس وروح القدس ، وكذلك الفلاسفة مابرحوا يصنعون النظريات العديدة عن سرعة تقلب المرأة وكثرة تلونها دون أن يبنوا نظرياتهم هذه على أساس متين من علم فسيولوجيــة المرأة وبسيكولوجيتها . وكذلك المشرعون سنوا القوانين الرامية الى إصلاح شأن المرأة من وجهة عامة دون أن يعنوا أقل عناية بأمر احتياجاتها الخاصة ومطالبها الذاتية ، وكذلك الوعاظ وعلماء الأخلاق ما فتئوا يلقون عليها الدروس والمحاضرات فى الواجبات والفروض دون أن يستطلعوا ويستجلوا ما غمض من احتياجاتها وحـدودها ومقدراتها الأخلاقية والدينية

ان الحقائق الكبرى لتكون في الغالب من مستكشفات الشعراء وبنات أفكارهم — اذ كان الشاعر ربما طمح بخياله

الطمحة يسمو بها الي مستكن نجمة الجليل وراء حجب السحاب ، ويغوص بها الى مستسر لؤلؤة الفكرة الرائعة فى أعماق لجج العباب ، فينال فى أقرب من لمح البصر بجناح الخيال مالا ينال الفيلسوف بالحجة المنطقية والقياس ، ولا العالم الطبيعى بالمجهر والبوتقة والقسطاس ، ومن ثم ترى أن الشاعر بارنز لما قال فى بعض قصائده ان الطبيعة لما أرادت أن تخلق المرأة أكبرت هذا العمل لصعوبته وإحتياجه الى المهارة القصوى والبراعة العظمى فهابته اعظاماً وأحجمت عنه فى أول الأمر إجلالا ، ثم سنحت لها فكرة وجدت أن فيها الوسيلة لادراك هذه الغاية البعيدة ، وتلك هى أن تبدأ أولا بخلق الرجل الذى لايحتاج الى مثل ما يحتاجه خلق المرأة من غاية الدقة ومنتهى الاتقان فيكون لها ذلك بمثابة التمرين والرياضة والتدريب حتى تصبح يدها الخرقاء صناعاً ، ويصبح مجهودها العادى إجادة وإبداعا . فخلقت الرجل على سبيل التجربة والاختبار ثم خلقت بعد ذلك المرأة فجاءت غاية الحسن والاحسان ، ونهاية التأنق

والاتقان ، وآية الدهر ومعجزة الزمان.

فناشدتك الله أيها القارىء ألا ترى أن الشاعر بارنز لما قال هـذا قد لمح بهذه الاشارة القصـيرة الى ماا كتشفه العـلم (الفسيولوجيا والبسيكولوجيا) بعـد الجِدِّ والـكد والبحث والتنقيب الأعوام العديدة من تلك الحقيقة التى تعد الآن من أنفس مستـكشفات العلم الحديث ، لا عجب ولا بدع فان لمحة الشاعر من نور الله وكلمة الشاعر من كلم الوحى :

«والشعر لمح تكفى اشارته وليس بالهذرطولت خطبه»

فهرست

كتاب المرأة الجديدة

(تم)

المرأة الجديدة

أو

مركزها الاجتماعي

عمل

الكاتب الاجتماعي الشهير

محمد السباعي

عني بنشره وطبعه

﴿ حسين حسني ﴾

طبع مطبعة السعادة بمصر

الفصل الأول

مركز المرأة الاجتماعي

والفكرة القديمة التي كانت تجري في أذهانهم من أن نبي الاسلام هو الذي كان أول من سنّ تعدد الزوجات وجعله شريعة من الشرائع الاجتماعية — وهي فكرة تدل على مقدار جهل الذين حملوها أدمغتهم — قد هدمت اليوم ودحضت وظهر لهم فسادها ولكن الخطأ الذي لا تزال جماهير العامة عندهم تستمسك به وتصر عليه ولا تزال خلق كثير من المتعلمين ورجال المسيحية يقولون به هو ما قدمنا من أن محمداً اتخذ تعدد الزوجات شريعة وأقرّه سنةً وقانوناً وتلكم فكرة ليس في الدنيا أفسد منها وأبعد عن الحق وأضعف أساساً . فان محمداً وجد تعدد الزوجات معمولاً به بين أمته وجيران أمته والبلاد الواقعة حول جزيرته حيث اتخذت ثمة مظهراً مخيفاً وكانت في حال من التفشي سيئة

ذكراً ونحن لا ننكر من قوانين الامبراطورية المسيحية حاولت أن تصلح من أمر هذه النقيصة وتكسر من حدتها ولكنها عجزت وعادت مخيبة طائشة السهام فظلت تلك العادة نامية متأصلة لارادتها ولا زاجر يزجرها وظلت الزوجات المسكينات اللاتى تزوّج منهن الرجل بعد زوجته الأولى يعانين جملة من الآلام وضروباً من الشقاء

وكان فساد أمر الأخلاق فى بلادفارس على عهد ظهور النبي وتحطم مبادئ الأدب من الشناعة والسوء بحال مروعة فلم يكن ثمت للزوج قانون أو شرعة معروفة وان كان ثمت قانون فلم يكن أحد منهم يعترف به أو يرتضيه

وما كان كتاب الزندافستالم يضع حدًّا محدودًا لعدد النساء اللاتى يجوز للرجل الابتناء بهن لم يكن من الفرس الا أن جملوا ينعمون بعدد عديد من النساء وعدد مثله من السراري وكانت هناك عادة أخرى غير تعدد الزوجات عند الجاهلية واليهود عادة زواج المتعة فكان لهذا التحلل الشنيع فى المبادىء الاجتماعية أثر مخيف سيىء منكر فى حياة

المجتمع فى جزيرة العرب

على أن الاصلاحات التى سنها النبى أحدثت متسع المدى بيناً محسوساً من وجهة مركز المرأة على حين كانت حالة النساء عند اليهود والعرب غير المستعربة نهاية فى الانحطاط والمهانة والسوء فقد كانت الفتاة اليهودية فى بيت أبيها في مكان الخادم لا أكثر ولا أقل وكان لأبيها أن يبيعها فى السوق ان كانت قاصرة ولأبنائه الذكران من بعده أن يتصرفوا فى أمرها كما تشاء أهواؤهم وكانت الفتاة لا ترث أبويها الا اذا كانت وحيدة لا ذكور معها وكان أهل الوثنية القديمة من العرب من جراء تأثير اختلاطهم بالبلدان المحيطة بهم يعدون المرأة سلعة وملكا من سلع الرجل وأملاكه وكانت الأرامل تنتقل بعد موت بعولهن الى حوزة أبنائهم بحق الارث — وكان ذلك منشأ زيجات كثيرة بين أبناء الزوج وأرامل آبائهم وهى التى جاء الاسلام فمنعها وسميت بعد ذلك (زواج المقت) وتمادت بعرب الجاهلية الأولى الكراهية للنساء حتى جعلوا يئدون البنات ويدسون الولائد

الاناث فى الثرى أحياء وهذه العادةالشنعاء التى كانت سائدة بين أهل قريش وقبائل كندة حاز بها الاسلام وشدد محمد النكير عليها واستن لها العقوبة الصارمة والشديدة وكذلك قل عن عادة تقريب الأطفال قرابين لآلهتهم

وكان مكان المرأة فى دولةالفرس وكذلك فى دولة بيزانطه حقيراً مهيناً فى نظام المجتمع وانبرى قوم من المتهوسين الدينيين خلعت عليهم المسيحية ألقاب القديسين والأولياء الصالحين فجعلوا يحطون من قدر المرأة وينكرون قضيتها ويحكمون بشيطانيتها ناسين ان النقائص التى رأوها فى المرأة ليست الا صورة أذهانهم الناقصة الصفراء المريضة معكوسة أمام أعينهم فى ذلك العهد وبناء المجتمع يكاد يخر الى الأرض وينقض حجراً حجرا والرابطة التى كانت تربط ذلك البناء هاوية متحللة ، ظهر محمد بتعاليمه الجديدة وسننه الصالحة فوضع ذلكم النبى الكريم المبدأ الأول فى رأس تعاليمه الوصاة بالنساء واحترامهن وتغلغل أثر ذلك المبدأ فى صحابته وأتباعه وأنصاره فأسموا ابنة النبى تقديراً لمكانها

واجلالاً لطهرها وقداستها سيدة شباب أهل الجنة وفاطمة الزهراء ثم قفت على آثار ابنة النبي طائفة طويلة من النساء أعلين من شأن جنسهن لفضيلتهن ومزاياهن

ومن بين الشرائع التى دعا اليها النبي وسنها منعه عادة الزيجة الوقتية « زواج المتعة » ولئن كان قد أباحها اضطراراً فى مبدأ الأمر فقد عاد فحرمها تحريماً فى العام الثالث من الهجره بل لقد وضع محمد للنساء حقوقاً لم تكن لهن من قبل وأسس لهن امتيازات سيدرك العالم قيمتها على ممر الزمن بل لقد رفعهن من وهدتهن فسوى بينهن وبين الرجال فى الوظائف والحقوق وكسّر من شوكة تعدد الزوجات التى يجوز للرجل الابتناء بهن معاً ولا ننسى أن الآية التي جاءت فى الكتاب العزيز لتحديد عدد الزوجات واباحة الزواج بأربع نسوة انما عقبت بآية أخرى وهى « وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » فاق هذا الشرط من الأهمية بمكان عظيم ولم يغفل قيمته علماء الاسلام وسادات الدين ففي القرن الثالث من الهجرة جعل علماء الاسلام فى عهد المأمون يعلمون

الناس ان مبادئ القرآن انما تبت فكرة الاقتصار على زوج واحدة وتوحى الى المسلمين الاستمساك بتلك الفكرة وانها فى صف فردية الزواج وعلى الرغم من الاضطهادات التى حمل بها الخليفة المرور (المتوكل) على أولئك العلماء ومنع بها انتشار تلك التعاليم التى بثوها فى الناس والمبادئ التى نادوا الجماهير اليها فان الاعتقاد بصحة تلك المبادئ لا يزال ينشر نفسه فى كل مكان ويكره الجميع على الاقتناع به ويوحى الى الجماعات الاسلامية المستنيرة المهذبة ان تعدد الزوجات يناقض تعاليم الاسلام كما هو مناقض لتقدم المجتمع المتحضر والآداب الخلقية الحقة والمدنية الحديثة

وينبغى أن لا ينسى الناس أن وجود تعدد الزوجات يتوقف على ظروف خاصة وأحوال معينة وأزمنة معلومة تجعل العمل به لزاماً وأمراً لابد منه لحماية العنصر النسائى من شر الجوع والفاقة واذا صحت التقارير وصدقت الاحصائيات التى بين أيدينا فان أغلب الفساد الخلقى والاباحية وتهدم المبادىء الأدبية المتفشية فى أكبر حواضر المدنية فى بلاد

الفرنجة لا منشأ له الا الفاقة الشديدة وقد أبان الأب هوك والسيدة دف غوردون فى تواليفها أن مجرد الحاجة فى أكثر الأحايين يدفع الناس فى المشرق الى اتباع فكرة تعدد الزوجات

وعلى تقدم الفكر وارتقائه وتقلبات هذا العالم المستمرة وتطورات أحواله المتعاقبة تنمحى ضرورة الحاجة الى تعدد الزوجات وتبطلها هذه العادة من تلقاء نفسها أو تبطلها القوانين والشرائع ومن ثم نرى انه فى البلاد الاسلامية التى قد أخذت تنمحى فيها تلك الأسباب التى كانت استلزمت تعدد الزوجات فى بادىء أمر قد أصبحت هذه العادة تعد شراً ونكراً ونظاماً منافياً لتعاليم الرسول بينما فى البلاد والتى أحوال المجتمع فيها خلاف ذلك والتى ينعدم فيها من وسائل معاونة المرأة نفسها بنفسها ما هو متوفر فى البلاد الأعظم رقياً والأرقى تمدينا نرى أن مذهب تعدد الزوجات هو مما لابد منه ولا مناص عنه ولعل معترضاً يقول انه لما كانت حرية التفسير تترك مجالاً واسعاً لاختلافات أرباب الفتاوى

فسيكون من الصعب جداً ابطال المذهب التعددى ابطالاً تاماً ونحن لا ننكر ما لهذا الاعتراض من قوة الحجة وصرامة البرهان مما هو جدير بالتفات من كان من المسلمين يبغى خلاص التعاليم الاسلامية مما لحقها من الانتقاض والعيب ويريد التمشي مع روح العصر والمدنية الحديثة على أنه لا يفوتنا ان مرونة القوانين والشرائع هى أنصع دليل على نفعها وفائدتها وهذه المرونة هى أعظم مزايا الشريعة الاسلامية فهذه الشريعة ملائمة على السواء لمطالب أرقي الشعوب وأشدها تهذيباً والاحتياجات أوضعها وأحطها مدنية والشريعة الاسلامية لا تتجاهل مطالب الانسانية المتطورة المتدرجة كما أنها لا تتجاهل أيضاً ان فى الدنيا شعوباً قد يصبح منهم مذهب توحيد المرأه آفة وشراً بيد أن محاولة الغاء تعدد الزوجات ليس من الصعوبة كما يتوهم ولا خفاء فى أن شر ما نكب به الشعوب الاسلامية من الآفات والمصائب انما تأتى من ناحية المذهب التقليدى (الوقوف عند المذاهب الأربعة) الذى جزم الاستقلال بالرأي الفردى (الاجتهاد)

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى فيه يرجع الى نص القرآن ذاته للفصل فيما اذا كان الواجب على المسلم أن يأخذ بصريح آيات الكتاب العظيم وحقيق معانيها أو بتأويلات الأئمة الذين يترسلوا باسم النبي الى ارضاء أهوائهم الذاتية أو الى تأييد أوامر الملوك والسلاطين الذين كان أولئك الأئمة بعض خدامهم وصنائعهم ولقد كابدت أوروبا عين هذه الصعوبات والمشاق واقتحمت عين هاتيك العقبات والحوائل فكان أولى بها من قذف الاسلام بهذه المطاعن والمثالب أن ترقب بعين العطف والرفق وتلحظ بناظر التمهل والتأنى ما تبذله الشعوب الاسلامية الناهضة المتحفزة من المجهودات الجسيمة فى سبيل التخلص من رق المذهب التقليدى ومام للاسلام هذا فهبّ وانتعش ونفض عنه غبار الأفكار العتيقة وصدع قيود العقائد القديمة أصبح من السهل على مشرعى كل أمة اسلامية أن تلغى بأمر حكومتها مذهب تعدد الزوجات فى بلادها ولكن هذا الحد من الكمال لا يمكن أن ينتج الا من رقى عام فى ا كتناه حقائق الحياة وأمهات المسائل

وتفهم أسرار معانى الكتاب المقدس ولا أرانى مبالغاً اذا قلت ان مذهب تعدد الزوجات آخذ فى الاضمحلال أو سيضمحل سريعاً تحت أشعة ضياء التأويل الحديث الذى أصبحت تؤول به آيات الكتاب المنزل وكذلك يتبين لنا أن ملاءمة الشريعة الاسلامية لكل دور من أدوار التمدين وكل طور من أطوار الرقى تشهد بما أوتي صاحبها (محمد) من السداد والحكمة فنحن نرى انه فى الشعوب الاسلامية غير البالغة درجة مذكورة من التمدين أن القيود والحدود التى وضعها الرسول على مذهب تعدد الزوجات قد حالت دون مصير هذا المذهب آفة وشراً على تلك الشعوب فان المذهب المذكور هو بلا شك خير وأفضل من تلك العوائد والتقاليد والأساليب الاباحية الدالة على التجرد التام من كل مسئولية أدبية والتملص الكامل من كل قيد أخلاقي وقد شوهد أنه بتقدم العلوم والمعارف يزداد الشعور بسوء موقع الآفات الناجمة عن مذهب تعدد الزوجات وتزداد تلك الآفات وضوحاً وتقترب الأذهان من ادراك معنى

التحريم لذلك المذهب ويدنو على متناول الأفهام ماهية الغرض من الغائه ونحن لا يسعنا قط القول بأن مسلمى الهنـد قد استفادوا كثيراً من الاختلاط بأمم البراهمة الذين قد حلل بينهم مذهب السفاح فان هؤلاء الطوائف من الهنود قد تراخت عندهم بسبب تلك المبادئ الأخلاقية وتلوثت بينهم نقاوة العقيدة فى وجوب طهارة الروحانية البشرية ورفعـة الشرف الانسانى وقد أصبح الفسق والفجور مألوفاً لديهم كألفته لدى جيرانهم من الوثنية على أن لدينا من الشواهد مايحملنا على الظن بأن نور الله الذى أضاء بلاد العرب فى القرن السابع سوف يهبط على قلوب تلك الطوائف الاسلامية الضالة فيخرجهم من دياجير ما يغشاهم اليوم من تلك الجهالة والعماية ولا مراء فى أن كراهة تعدد الزوجات قد أصبحت اليوم عقيدة راسخة اجتماعية ان لم تكن أخلاقية وفى البلاد اليوم من الظروف القهرية مع ما بها من تلك الكراهيـة لمذهب التعدى الآنف الذكر ما يتجة الى اقتلاع هـذا المذهب من أمم الهند الاسلامية فقد أصبح من الشائع بين

جميع هذه الأمم أن يدون فى عقد الزواج فقرة تنص على
أن الزوج يتعهد بالتنازل عن كل حقه المفروض فى التزوج
من أى امرأة أخرى طول استمرار الزيجة الأولى ونحن
نرى ان ٩٥ فى المائة من مسلمى الهند الآن كلهم على مذهب
« توحيد الزوجة » إما عن عقيدة أو ضرورة ما بين الطبقات
المهذبة العليمة بتاريخ أسلافها القادرة على المقارنة بين هذا
التاريخ وتاريخ غيرها من الأمم فان المذهب التعددى مكروه
غير مستصوب وكذلك فى بلاد الفرس نرى ان نسبة قليلة
جداً من السكان ٢٠ فى المائة وهم الذين يتمتعون بلذة المذهب
التعددى المشكوك فى صحتها والذى يرجوه العقلاء من صميم
أفئدتهم انه لن يمضى الا قليل من الوقت حتى يبصر أئمة
الدين قد اجتمعوا فقرروا نهائياً قرار سارى المفعول نافذ
الحكم أن المذهب التعددى هو كالرق مكروه فى نظر
الشريعة الاسلامية

والآن ننتقل الى مسألة زيجات النبى التى قد جعلها
ذوو الجهل بالحقائق المقررة أو ذوو الانكار لها ميلا مع

الهوى وقلة نزاهة حجة لتوجيه المطاعن ضد محمد بكثرة زيجاته قد خص نفسه بما لم تبحه الشريعة من الملاذ فأظهر بذلك من وهن العزيمة وقله الحزم ما ينافى واجبات الرسل وسير الأنبياء ولكن من تأمل الأمر ببصيرة الواسع الاطلاع على الحقائق التاريخية وانصاف الحكم العادل حكم قطعاً أن محمداً لما تحمل عبء معاونة السيدة المسنة بتزوجه اياه حسب النواميس القديمة المتبعة وكان إذ ذاك فقيراً كان انما يكلف نفسه تضحية ذاتية لا يستهان بها ولا مراء فى أن من حلل نوايا محمد ومراميه فى ذلك الصدد تحليلاً تاماً من الوجهة الانسانية المحضة المجردة من الأغراض الشخصية تبين الكذب الصراح وسوء النية فيما يوجه الى « بطل الأعراب » من التهم فى ذلك الشأن . نقول ان محمدًا فى الخامسة والعشرين من عمره وفى زهرة شبابه تزوج خديجة وكانت تتقدم عنه فى السن بمراحل وقد لبث معها خمسة وعشرين عاما كان سلوكه معها خلالها مضرب المثل فى الصدق والاخلاص والأمانة وفى الرخاء والصفاء والسعادة .

وَما برحت خديجة أثناء ما انهال عليه من مطاعن الوثنيين واساءاتهم ومن مظالمهم واضطهاداتهم عونه الوحيد وعضده وساعده لم تزايله طرفة عين ولم تأل مواساة له ومؤازرة ولما توفيت خديجة كان محمد فى الواحدة والخمسين من عمره ولا ينكر أعداؤه . بل على الرغم منهم يسلمون أن محمدًا لبث طول هذه المدة مبرأً من كل سوأة طاهر الذيل من كل مدنسة نقى الجيب من كل لوثة ناصع الصحيفة مأمون الغيب وفى حياة خديجة لم يتزوج محمد امرأة قط غيرها بالرغم من أن عادات البلاد وتقاليدها يومذاك كانت تخوله هذا الحق لو أراده

وبعد وفاة خديجة ببضعة أشهر يوم عاد محمد من الطائف مضطهدًا لا عون له ولا نصيرًا تزوج سعدى أرملة رجل من الأعراب كان قد اعتنق الاسلام دينا ثم اضطر للفرار الى الحبشة هربًا من أذى المشركين . ثم مات هذا الشريد فى ديار الغربة وخلف سعدى ارملة لا عائل لها ولا ناصر فلم يجد محمد حسب عادات البلاد وتقاليدها سبيلا الى حماية

الأرملة وصيانتها وانقاذها غير التزوج بها . ولامراء فى أن مبادىء المروءة والشرف والانسانية وبواعث الرحمة والعطف والرأفة كانت تقضى على الرسول بذلك . وكيف لا وانما فى سبيل محمد ومن أجله وتذرعاً الى نصر دينه وتأييده وقد لازمته زوجته سعدى فى منفاه واغترابه . وأيام محنته ومصابه . ثم عادت الى مكة مضيمة منكوبة مهيضة الجناح . دامية الجناح وحيدة مستوحشة فريدة فرأى محمد على الرغم من فرط فاقته اذ ذاك وشدة عوزه واحتياجه حتى الى القوت الضرورى أنه لا سبيل الى انقاذ المسكينة الا التزوج بها



الفصل الثاني
وصف الحالة الاجتماعية للمرأة
فى الولايات المتحدة
(بقلم أحد مشاهير الاجتماعيين بأمريكا)

قد شهد التاريخ ان الأمة اذا أصابها الاستبداد ، وحل بها الرقّ والاستعباد ، ثار فيها من رجالها أولو البأس والشدة ، وذوو البطش والنجدة ، فى وجه عدوّها فلا يلبثون أن ينقذوها من ربقة الرق والعبودية ، ويعيدوا لها ما سلب من الاستقلال والحرية

وقد حدث فى بلادنا هذه (الولايات المتحدة) انه لما استقر فى الأذهان ان شعباً من الشعوب (الزنوج) أصابهم الضيم والاضطهاد ، والذلّ والاستعباد ، ثار من أجلهم رجال الأمة فشبوا لانقاذ أولئك الزنوج حرباً عواناً ثم لم ينزعوا عنهم السلاح حتى رأوا ثياب الذل والعبودية قد نزعت عن

ذلك الشعب المستعبد

وانى أرى الأمة الآن أحوج ما تكون الى استصراخ أمثال من ذكرنا من الأبطال المجاهدين واستنجادهم واستنهاض هممهم لدفع ما هو شرّ من عبودية الشعوب فقد دلت الابحاث التى قامت بها آنفاً حكومة الولايات المتحدة على أن الأمة تكابد اليوم من أنواع العبودية وضروب الرقّ أسوأها وأنكاها . قال الاستاذ العلامة قاضى مدينة سيكاغو المستر « نيوكمر » منذ عهد قريب ما نصه : « اذا كنتم تعنون بلفظة تجارة الرقيق الأبيض ايداع صغار الفتيات بيوت الدعارة والفجور فهذه التجارة هى لاشك حقيقة واقعة تؤيدها شهادات الجمّ الغفير من رجال ونساء لا مطعن فى ذمتهم ولا مغمز فى شرفهم وأمانتهم » وهذه الشهادات مثبتة فى محاضر التحقيق وسجلات القضاء .

ولقد جاءنى مرة فى مدة لا تتجاوز الأسبوع سبع رسائل متنوعة من آباء فتيات من أهالى مدن أخرى يسألوننى بالله العظيم أن أمد اليهم يد المعونة فى سبيل البحث عن

بناتهن فى زوايا مدينة شيكاغو إذ كنّ قد هاجرن من أوطانهن الى تلك المدينة ثم اختفين وانقطعت أخبارهن البتة »

وجدير بكل امرىء أن يطلع على تقرير حكومة الولايات المتحدة رقم ١٩٦ المضمن « جريمة استصدار النساء لأغراض خبيثة » ليقف بذلك على شيء من حقائق هذه المسألة الخطيرة . ويعرف كنه الخطر الجسيم الذى يتهدد شرف الزوجات والفتيات من كل الطبقات . واليك بضع نبذ من ذلك التقرير الآنف الذكر نوردها ههنا على سبيل الاستشهاد

« لقد منيت البلاد بفئة من شر خلق الله قد جعلوا مهنتهم الاتجار بأعراض النساء وبأبدانهن فمن دأب هؤلاء الفجرة انهم يغشون كل مكان توجد فيه النساء بحال تمكنهم من التوصل اليهن والتوسل الى اكتساب صداقتهن ونيل ثقتهن وحسن اعتقادهن كمكاتب التخديم ودور المهاجرين ومعارض الصور المتنقلة وكالمراقص والملاهى ومحاط السكك الحديدية ومساكن الخياطات والمطرزات والماشطات وهلم جرا

والفجرة الذين يغشون أمثال هـذه الأماكن لاستجلاب النساء تراهم عادة على جانب عظيم من الظرف والرقة والدماثة وحسن التلطف ولطف التزلف أوسلاسـة الطبع وحـلاوة الشمائل مع دهاء التدبير وسـعة الحيلة فهم أقدر الناس على نصب اشراك الغواية لأولئك الفتيات ومدّ شباك الاغراء لاقتناصهن فتراهم أسرع شيء الى استدراج كتبت عليهن الشقاوه من النساء واستهوائهن حتى يركنّ اليهم ويسكن الى صحبتهم آمنات مطمئنات فلا يلبثن أن يقعن فى الشرك وينشبن فى الأحبولة وقد نفذ الحكم فى القضية ، ومرق السهم من الرمية

وقد اعـترف الـكثير من الفتيات المشتغلات الآن بحرفة الدعارة لمندوبى الحكومة بأن جلابى النساء وأرباب المواخير أبعد ما تطمح اليهم رغبتهم ، وأقصى ما تشرئب اليه همتهم ، الحصول على الساذجات الغريرات من الفتيات ، وأدعى سبب الى هـذه الرغبـة هو أن أولئك الغريرات الساذجات لا يكون لهن قوّاد (جلاب رقيق « ياسرجى »)

يتقاضى سهماً من ايرادهن أو يكون له الحق والسلطة على سحبهن من الماخورة متى شاء . فهنّ أحرى أن يطول مكثهن بدار الفجور فربُّ الدار يراهنّ أنفق من غيرهنّ فى سوق الفسوق وأروج تجارة وأربح صفقة . فأخلق به والحالة هذه أن يغالى بأمثالهن فلا يضنّ عليهن لدى المساومة بأبهظ الأثمان . وقد أصيب بين الأوراق التى عثر عليها عند مهاجمة الحكومة لماخورة دوفور (اسم صاحبها) بشيكاغو عام ١٩٠٨ على رسالة من رجل بلندن يطلب من دوفور ٢٠٠ جنيه أجرة سفره وامرأة استحضرها له من لندن الى شيكاغو وعلى ايصال باستلام المبلغ المذكور من دوفور

وعثر أيضاً على رسالة أخرى من امرأة بمدينة بروكسيل الى المستر والمز دوفور تستعلم فيه عن وجود وظيفة خالية بماخورته لأختها — فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها تشتهى الاقامة بشيكاغو . وقد استدل من أوراق أخرى على أن دوفور دفع مرة ألف ريال فى فتاة فائقة الحسن بارعة الملاحة

وهذا التقرير وان كان خاصاً بالفتيات المستصدرات من

البلاد الأجنبية فانه ينطبق أيضاً على الأمريكيات بنات الوطن . فقد قال أحد كبار البحاثين ما نصه : « ان للفتيات الأجنبيات فى سرعة المبادرة الى الزواج فى حداثة أعمارهن خير عصمة من السقوط فى مهاوى الرذيلة ومثلهن العوانس والغرباوات من الأجنبيات البعيدات عن أوطانهن فانهن أيضاً فى أمان من السقوط لاختيارهن الاقامة فى أسرات شريفة من أهالى أوطانهن محصنة بأسوار الطهر والعفاف من بوادر العار والفضيحة . وكذلك الايطاليات في منعة وحصانة بفضل ما قد عرف عن آبائهن من فرط التشديد والقسوة . فان الايطالي ليكاد يقتل ابنته اذا زلت بها القدم عن صراط الفضيلة . ولقد بلوت الروسيات والاسرائيليات والطليانيات فألفيتهنَّ على جانب عظيم من العفاف والبر والرقة والأمانة .

« أما الفتيات الأمريكيات من المرتزقات كاسبات الأجور فشأنهنَّ خلاف ذلك فلئن كان بعض هؤلاء واجدات عصمة ومعاذاً فى بيوت الصحب والأصدقاء أو

بين ظهراني أسرات من ذوى البيوتات والأحساب وأهل العفة والحياء والمروءة فان الكثيرات منهن يبتن فى حيث يُعْوِزهن الرقيب المحافظ والغيور المحامى. والكثيرات منهن لا يملكن غرفة الجلوس لاستقبال الضيوف والزوار فهنَّ يستعملن مضاجعهن (غرف النوم) لذلك المقصد. ولست أنكر أن من بين أولئك الفتيات من يؤلمهن هذا النقص ويعرفن حرج هذا المركز ويجدْن له لوعة فى قلوبهنّ وحرقة فى أفئدتهن. فأمثال هؤلاء لا خوف عليهن ولا خطر. وأخريات يغضبن ويحمين آنفاً أن ينبّهن الى حرج مركزهن (استقبال الضيف فى غرفة النوم) أو أن تلفت أنظارهن الى ما فيه من الخطر المهدد إذ ينسبن مثل هذا التحذير الى سوء ظن الناصح وضعف ثقته بحصانتهن ومناعتهن وأخريات ينظرن الى هذه المسألة الخطيرة نظرة غير مكترث ولا مبال

والقوادون والقوادات وأرباب المواخير وربّاتها لا يجدن مشقة فى سبيل الانتقاء بالفتيات الأمريكيات والكثيرات منهن يشتغلن فى الفنادق والمطاعم وفى الدكاكين والمكاتب

والمصالح والمخازن . واعتقادى أن فتيات الأمريكان محفوفات من دواعى الاغراء وأسباب الغواية بما هو أكثر عدداً وأقرب أمداً وأدق وأخفى ، وأمرّ وأدهىٰ مما هو محدق بالفتيات الأجانب . »



الفصل الثالث

مركز المرأة في المجتمع

للكاتب النابغة الهندى

سيد أمير على

فى أدوار معينة من التطور الاجتماعى لا يكون تعدد الزوجات أو ارتباط الرجل لعدة نساء إلا أمراً لابد منه وحالا لا مفر منها ، ولقد كانت الحروب التى نشبت بين القبائل وما كان منها من إقلال عدد الرجال وكثرة عداد النساء ، والسلطان المطلق الذي كان ينعم به زعماء القبائل وسادة العشائر والأفخاد والبطون — كل أولئك كان السبب فى ايجاد تعدد الأزواج التى أصبحنا نعدها بحق فى هذا العصر المتحضر نقيصة لاتحتمل وشراً من شرور المجتمع

وقد كان تعددالزوجات فى الأمم الشرقية القديمة جمعاء شريعة مقررة وسنة متبعة . وكان اعتياد الملوك اياها

والأكاسرة وأهـل بيت الملك — وكانوا اذ ذاك ينزلون
من أممهم منازل الأرباب ويحملون علم الألوهية — باعثا
للناس على اتباعها — والجرى على سنن ملوكهم من ناحيتها
فقد ذاع تعدد الأزواج « من كلتا ناحيتى أى اكثار الرجل
من النساء بعدد من النساء » بين أهل الهند منذ زمن بعيد
من التاريخ ولم يكن ثمة بين الأشوريين والماديين والبابليين
أى حـد لعدد النساء وتعدد الزوجات التى يجوز للرجـل
الأعراس بهن . ولا يزال الرجل فى البراهمة الى يومنا هذا
يستطيع أن يتزوج من النساء العـدة الذى يحب ويختار .
ولقد كان تعدد الزوجات واقعا بين بنى اسرائيل قبل عهد
موسى وفى أيامه اذا قر تلك السنة ولم يضع لعدد الزوجات
حداً ولا قيداً ولـكن وضع ذلك القيد بعد ذلك فى التلمود
ونص على جواز الزواج بعدد من النساء على قدر مايستطيع
الرجل من اطعامهن والانفاق عليهن ولئن كان زعماء اليهودية
قد قالوا بتحريم الزواج بأكثر من أربع نسوة فقد خالفهم
قوم فى ذلك ولم يعترفوا بحد ولا شرط

أما الفرس فان دينهم أباح الاكثار من اتخاذ الزوجات وقد انحط تعدد الزوجات بين الشعوب الفينقية السورية التى هزمها بنو اسرائيل وأبادوها — الى درك ليس بينه وبين الحيوانية الشنعاء أى فارق أو خلاف . وكذلك فشت سنة تعدد الزوجات فى أهل طراقية وليديا وكثير من الشعوب القديمة التى كانت تسكن أقاليم عدة من بلاد الغرب والأقاليم الواقعة فى غرب آسيا وزادت عن الحد وتمادت حتى تجاوزت الوصف

ولقد كانت الزوجة فى أهل أثينا القديمة ـ وهى ولا خفاء أكبر الأمم الأثرية القديمة الحضارة ـ متاعا يباع ويشترى وسلعة فى السوق تنتقل من حوزة رجل الى رجل وكانا تعد شراً لاغنى عنه فى البيت وللابتذال فى الخدمة واخراج الذرارى والأطفال وكان للأثينى أن يتزوج بمن شاء من النساء حتى لقد جعل الخطيب ديموستينس ـ وهو فى براعة الخطابة ـ يفخر بأن فى أمته ثلاث طبقات من النساء ، طبقتان منها أزواج شرعية وأخريات غير شرعية

ولئن كان الرجال فى اسبارطه القديمة لا يباح لهم الزواج بأكثر من زوجة واحدة فقد كان لنسائهم أن يتزوجن بأكثر من رجل واحد

قانون الزواج عند الرومان

ولعل الظروف الخاصة التى وضعت فيها أنظمة الدولة الرومانية هى التى حالت دون اباحة تعدد الزوجات فى ابان نشأة تلك الدولة ، ومهما كان نصيب اختطاف نساء السابين فى أوائل العهد بدولة الرومان من الصحة والحق ، فان ثبوت تلك القصة فى سجل التاريخ باعث على الظن بأنها كانت العامل فى وضع الأنظمة الأولى عندهم فى الزواج والأسرة ، على حين أن تعدد الزوجات فى الولايات المجاورة لرومه وفى ولاية اتروسكان خاصة كان عادة شائعة وسنة مألوفة ، وجاءت بعد ذلك الحروب الكثيرة والغزوات الطويلة والفتوح المستمرة وما كان منها من حدوث الاختلاط بالأمم الأخرى التى كانت تسكن

ايطاليا . ثم الطرف الناشئ من النجاح والرفاهية التي تعقب الانتصارات فكانت كلها سبباً في جعل مشروعية الزواج عند الرومان أمراً لا أهمية ولا ضرورة فلم يكتفوا باباحة تعددالزواج وجعله شرعةً ونظاماً مقرراً بل استحال الزواج كذلك ضرباً من التسري لا أكثر ولا أقل . ولم يلبث التسري بعد ان أقرته شرائع الدولة الرومانيـة الأضحى في قوة الشريعة المباحة والسنة المقررة ولذلك كانت حرية النساء وضعف الرابطة التي تمسكهن بالرجال وتبادل الزوجات بين الرجال أو التنازل عنهن لم تكن جميعاً الا تعدد الزوجات بعينه وانما تحت اسم آخر ، وفي شكل مختلف

المسيحية الاولى والزواج

وبدأت يومئذ تعاليم المسيحية الأولى تلقى على سواحل غاليلية وتشبع على العالم الروماني بأسره ، على ان نبي الناصرة « عيسى عليه السلام » لم يستطع أن يقدر مسألة الزواج حق قدرها عامةً وكذلك شاعت سنة تعددالزوجات وفشت

وسادت ، حتى جاءت قوانين جوسنيان فأبطلتها وحرمتها ولكن ان تحريمها فى تلك القوانين المدنية لم يحدث أى تغيير فى أخلاق الشعب ومبادئ الآداب عندهم فظل تعدد الزوجات باقياً معمولا به متبعاً حتى جاءت مدنية المجتمع المتحضر فقطعت بتحريمه ، وحكمت عليه بالموت

فكانت الزوجات عدا الزوجة الأولى التي بني الرجل بها قبل الأخريات فى شر حال وأسوأ عيشة ، سلبية الحقوق لاتنعم بشئ من تلك الرعاية التي ترعى القوانين بها حق الزوجة الأولى ، عبيداً أرقاء ، مستهدفات لتقلب الزوج رهائن أوهامه ، غرضنا لمنازعة واهواء نفسه ، وكان أطفالهن يوسمون بميسم الزنا ، ويدعون مزنمين ، ويحرمون من حقهم فى ارث أبيهم ، ويعاملون كأنهم طرائد المجتمع ، مشردين منبوذين من صفوفه

ولم يكن التمتع بعدد من الزوجات شرعيات وغير شرعيات مقصورا على طبقة النبلاء والأشراف بل انه كان كثيرون من رجال الدين يتناسون العهد الذى عاهدوه

الزواج فير تبطون بزيجة أو زيجتين شرعيتين أو غير شرعيتين ، والتاريخ يدل على أن تعدد الزوجات لم يكن فى نظر الانسانية محرماً غير جائز كما هو اليوم بل ان القديس أوغستين نفسه لم يكن يرى فيه شيئاً من الاثم أو المعابة أو مخالفة نواميس الآداب واعترف بأنه لا يعد جريمة اذا كان سنة مقررة فى بلد من البلدان وقرر المصلحون الدينيون من الجرمان فى القرن السادس عشر صحة الزواج بامرأة ثانية أو ثالثة بجانب الزوجة الأولى لأسباب كثيرة منها العقم وقلة النسل

تعدد الزوجات في المسيحية

ونحن نرى كثيرين من العلماء الدينيين يعترفون بأن ليس فى تعدد الزوجات أى مخالفة لقواعد الآداب وأن عيسى لم يحرم التعدد تحريماً قاطعاً ولم يقل بمنعه منعاً باتاً ومع ذلك يقولون بأن فكرة الفردية فى الزواج لم تعم فى الغرب ولم تنتشر الا بفضل التعاليم التى بثها الجرمان أو أهل الدولة الرومانية الشرقية فى تضاعيف المسيحية ولكن هذه الفكرة

والقسم الذى اتخذوه من البقاء على العزوبة والتخرج من الأخيرة تخالف الواقع والتاريخ ولا أثر لها من الصحة . اذ لم يقل باستمساك الجرمان بسنة الاقتصار على زوج واحدة غير واحد أو اثنين لا تصح شهادتهما ثم لا ينبغى أن ننسى الغرض الذى من أجله وضع المؤرخ تاسيتاس كتابه (فى آداب الجرمان) فقد كان كتابه ذاك نقداً حاراً شديداً على الاباحية التى كانت متفشية فى بنى وطنه وكان غرضه ادخال مبادىء أطهر من المبادئ التى كانت سائدة يومذاك فى رومه . واذا نحن فرضنا أن تاسيتاس كان على الحق فبماذا نؤول عادة تعدد الأزواج التى ظل عليها طبقات النبلاء من الجرمان حتى القرن التاسع عشر . ومهما كانت عادة الرومان فى العهود الأولى من تاريخهم ولا نزاع فى أن تعدد الأزواج فى أخريات أيام الجمهورية الرومانية وأبان عهد الامبراطورية كان ولا ريب مقرراً كسنة مشروعة أو لم يكن على الأقل معتبراً اثماً محرماً وأمراً غير مشروع فان الامبراطور فالنتيان الثانى أصدر قانوناً أباح به لرعايا مملكته الزواج بعدة نساء اذا شاءوا

وليس فى التاريخ الدينى لتلك الأزمنة دليل ما على أن أساقفة ذلك العصر ورؤوس الكنيسة أقاموا أى اعتراض على اصدار ذلك القانون بل لقد تابع القياصرة الذين جاءوا بعد ذلك الامبراطور سنة تعدد الزوجات ومشى قومهم فى آثارهم

وبقيت تلك القوانين على حالها تلك حتى عهد جوستنيان إذ كان أكبر نصحاء ذلك الامبراطور ووزرائه رجلاً ملحداً وثنياً . ولكن تحريم ذلك الملك تعدد الزوجات لم يستطع أن يزجر ميل ذلك العصر ويقمع رعيته بل لم يكن قانون تحريم تلك السنة القديمة الا دليلاً على تقدم الفكر الانسانى فى تلك العصور وأثراً من تطور الآداب ليس غير ولم يتعد تأثيرها فئة قليلة من المفكرين وراحت فى الجماهير ضعيفة الأثر لا سلطان لها ولا نفوذ

وفى الأقاليم الغربية من أوروبا لم يكن من علو كفة البرابرة واختلاط مبادئ السكان بمبادئ الفاتحين الا أن حطت من علاقة الرجل بالمرأة وحاولت جملة من قوانين أولئك البرابرة أن تضع نصوصاً خاصة بتعدد الزوجات

ولكن التعاليم والنصوص لم تغن شيئاً ولم تفد فتيلا . اذ كانت الشعوب والجماهير ترى ملوكهم مكثرين من زوجات فلا تجد عن احتذائهم حولاً ، ولا ترى بداً من الاقتداء بهم حتى أن رجال الدين على رغم وصايا الاستمساك بالعزوبة التي كانت تلقن في الكنيسة جعلوا يتسرون بامرأة أو بأكثر من امرأة . وذلك باذن من رئيس أسقفيتهم

والخطأ الأكبر الذي وقع فيه كتاب المسيحية قولهم ان محمداً اتخذ تعدد الزوجات سنة من سنن دينه وأقره وأباحه .



الفصل الرابع

المرأة والزواج

قد قلدت الطبيعة المرأة وظيفة تربيـة الأطفال لأن المرأة بفطرتها صبيانية الذهن قصيرة النظر حمقاء ، أو بعبارة أخرى هى طفلة طول حياتها — هى شىء بين الطفل والرجل (صاحب الرجولة التامة) — انظر الى الصبية كيف تقضى اليوم أثر اليوم فى ملاعبة طفل صغير ترقص معـه وتغني له ثم تصور لو أن صبياً كان مكانها مع الطفل ماذا كان يصنع ؟ أكان يصنع مثلها ؟ الطبيعة تهب الفتاة حظاً وافراً من الحسن والملاحة لمدة بضعة أعوام قلائل أثناء الشباب ثم تسلبها بعد ذلك هذا الجمال . والسر فى ذلك هو أن الطبيعة تمد الفتاة فى تلك البرهة بالسلاح اللازم لاقتناص رجل يكون ماثلا لها وقائماً بشؤونها وحافظاً لحياتها حتى اذا تم لها ذلك نزعت الطبيعة عنها ذلك السلاح فالطبيعة تبدى فى ذلك مبـدأها

الاقتصادي المعهود وهو تقديم ذخائرها لأبنائها وقت الحاجة فقط فشأنها في ذلك كشأنها مع النملة الأنثي متى حملت الجنين فقدت أجنحتها اذ لا لزوم للأجنحة بعد ذلك بل ربما كانت عقبة لها في سبيل تربية النسل وكذلك تفقد المرأة جمالها بعد ولادتها مرة أو اثنتين لعله لعين ذلك السبب وكذلك نرى ان الفتاة تعتقد أن شؤونها المنزلية والعائلية انما هي مسائل ثانوية بل ربما عدتها تافهات يسخر منها ويهزأ أما المسائل الجوهرية والأمور الأساسية لديها فهذه هي الحب والمغازلة واقتناص القلوب وكل ما يدخل تحت ذلك من ضروب الحلى والزخرف وصنوف اللهو والرقص وماشا كلها

لا يخفى انه على قدر عظم الشيء وشرفه وكماله يكون بطء تكونه وطول مدة نمائه فالرجل لا ينضج عقله قبل الثامنة والعشرين من عمره ، أما المرأة فتبلغ ذلك في الثامنة عشر ولكن عقلها ضيق النطاق قريب النظر وهذا هو السبب في أنها تبقى طفلة طول عمرها لأنها لا ترى من الأمور الاما بين يديها ولا تتعلق الا بالحاضر وتغتر بالظواهر

فتحسبها حقائق وتؤثر الحقير على العظيم والتافه على الجسم
وانما بفضل العقل الراجح نرى الرجل لا يقصر نظره على
الحاضر بل يمده الى المستقبل والماضى ومن ثم ينشأ الحزم
والتبصر والتدبير مما يمتاز به الرجل على النساء وقلة اهتمام
المرأة بالمستقبل وهى التي تغريها بالتبذير المجاوز كل حد
— المشرف على الجنون فهى تحسب أن الرجل ما خلق الا
ليكسب المال لها — وانها لم تخلق الا لتبدده

المرأة مجردة عن صفة العدالة والاهتداء الى الحق ولذلك
سببان :ـ الأول هو ضعف الادراك وقلة التبصر اللذان أشرنا
اليهما آنفاً . والثانى هو أن الطبيعة لما وهبتها الضعف والوهن
جعلت سلاحها المكر لا القوة وهذا سبب ما ترى المرأة
من الكيد والحيلة وتأصل رذيلة الكذب فى طباعها . وكما أن
الأسود قد زودت بالمخالب والفيلة بالأنياب والثيران بالقرون
فكذلك المرأة قد زودت من الطبيعة سلاحاً تدافع به عن
نفسها هذا السلاح هو الرياء — فالرياء فى المرأة يقوم مقام
قوة الجسم والعقل فى الرجل ولذا فالرياء هذا خلق غريزى

فى المرأة تستوى فيه الذكية والبليدة فمن البديهى اذن أن تلجأ المرأة الى الرياء عند الحاجة مثلما تلجأ الحيوانات الآنفة الذكر الى أسلحتها التى أشرنا اليها عند الضرورة ومن ذلك ينتج أن المرأة الصادقة التى لا ترائى هى احدى المستحيلات وينتج أيضاً ما قد عرف عن المرأة من سرعة استكشافها خلق الرياء فى الرجل ولا عجب فان من يحاول اجازة الرياء على معدن الرياء لكمن يهدى المطر الى السحاب فمن الحماقة والأمر هكذا أن يسلك الرجل مع امرأة سبيل الرياء ومن ١
هذا الخلق (أعني الرياء) ينشأ ما يعرف عن المرأة من صفات الكذب والغدر والخيانة ونكران الجميل وهلم جرا وقد ثبت فى سجلات المحاكم ان النساء أكثر ارتكاباً بجريمة الحنث من الرجال ومما يشك فيه جواز تحليفهن اليمين وقبول شهادتهن وتشهد سجلات القضاء أيضا أن قد يصادف من حين الى آخر المرأة الغنية المتمتعة بكل ما تشتهى وهى مع ذلك تمد الى الأمتعة فى حوانيت الباعة فتسرقها ما كان قط لذى مسكة من العقل أن يسند ذلك

الاسم الجميـل « الجنس اللطيف » لذلك الجنس الدميم الضئيل الضيق المنكبين العريض الـكفل القصير الرجلين فان هذه المقابح هى جل محاسن ذلك الجنس وأقرب إلى الحقيقة أن يسمين (الجنس المعادى للجمال) لجهلهن بالفنون الجميلة — الشعر والموسيقى وما يجرى مجراهما فانهن لا طبيعة لهن البتة ولا استعداد ولا ميل ولا ادراك لشئ من هـذه الفنون فان رأيت منهن تعلقاً بشئ منها فما هو الا ادعاء باطل أو يتخذن احدى هذه الفنون ذريعة التقرب من الرجال قصد اصطيادهم والحقيقة ان المرأة لا يهمها شئ سوى الرجل فميدانها الرجل وغايتها والقلعة التى تريد مهاجمتها والاستيلاء عليها هى الرجل ولذا فالرجل يحوز العلوم وهى تحوز الرجل فاذا رأيتها تحاول احراز شئ من الفنون فانما تفعـل ذلك لاحراز الرجل فاشتغالها بالطلب والدراسة نفاق ورياء ومن ثم قال روسو (المرأة بوجه عام لا رغبـة لها فى الفنون ولا تفهم العبقرية ولا تملـكها) والذى لا يغـتر بالظواهر لا بد أن يكون قد عرف ذلك فى النساء ومن لم يكن قد اطلع

على ذلك الخلق فيهن فما عليه الا أن يراقب حركاتهن فى دار التمثيل أو فى دار الموسيقى فانه اذا رأى اشتغالهن أثناء أبدع الفصول وأعجبها وأطربها وأغربها بصنوف الأحاديث الصبيانية من فضول القول ولغو الكلام علم مقدار فهمهن للفن ولنعم ما كان قدماء اليونان يصنعون من منع حضور التمثيل فان ذلك السبيل الوحيد لاستطاعتهم سماع الموسيقى وألفاظ الممثلين ولعله قد يحسن فى أيامنا هذه أن يكتب على ستار المسرح ممنوع الكلام بحروف كبيرة

ولا عجب فيما قد أوردناه ههنا من سوء انصراف النساء عن محاسن الفن اذا ذكرنا أعظم مشاهير النساء لم يخرجن قط للعالم من المؤلفات ماهو حقيق أن يعد فى الطبقة الأولى من نتائج الذهن البشرى وأبين ما يشاهد هذا فى فن التصوير الذى قد عرف ان جزأه الفعلى هو سهل التناول على المرأة والرجل على حد سواء فهن لهذا يتهافتن على الاشتغال بالتصوير ومع ذلك فلست ترى لأنثى قط صورة مشهورة يصح مقارنتها بثمرات أنامل كبار الفن من الرجال

وذلك لتجردهن من الملكة التصويرية التى هى اس النجاح فى ذلك الفن وانما أقوى الملكات فيهن هى الملكة الوجدانية أى المنصرفة الى ذاتية الانسان ومتعلقاتها وليس الى تأمل الأشياء الخارجة عنه وتصورها هى ما قد سميناه الملكة التصويرية ولذا فالمرأة العادية لا إدراك عندها قطعاً فى هذا الفن (التصوير) وقد قال هويارتى فى كتابه الذى لم يزل مشهوراً منذ ثلاثمائة عام ان النساء مجردات من الكفاءات العليا على ان لكل قاعدة شواذ ولكن النادر لاحكم له فلا جرم اذا قلنا ان النساء بوجه الاجمال ما زلن ولن يزلن سوقيات الأذواق (نسبة الى السوقة وهم العامة) سخيفات الآراء ولذا لا يزال منهن محرضات لأزواجهن على كل خطة دنيئة وغاية سافلة وكونهن سوقيات وسخيفات مع مالهن من السلطة والنفوذ فى المجتمع هو سبب انحطاط المجتمع فى هذا العصر الدنىء وفساده وما أصدق ماقاله شامفورت حيث قال انما وظيفتهن العبث بحماقتنا وسفاهتنا وليس بعقولنا وأذهاننا فلا جدال في أنهن الجنس المؤخر

والذكور هم الجنس المقدم فأقصى حقهن علينا هو ان نرمقهن بعين الصفح والتجاوز عن زلاتهن فأما اجلالهن واحترامهن فهذا بله منا وسخف وسفاهة لا ثمرة منه الا أن يحقرنا فى نظرهن والرجل مقدم على المرأة وهو أعظم شأنا منها وأرجح وزنا وقد أحسن الشرقيون والقدماء فى تفضيلهم الرجل على المرأة لله درهم انهم أنفذ بصيرة وأصح رأيا وقبحنا الله أو نقتدى بقدماء الفرنسيس فى تقديسنا المرأة اتباعاً لمذهب الفروسية أسوأ العصور الوسطى وأسود وصماتها وهل كان لهذا المذهب الفاسد مذهب تقديس المرأة من فائدة سوى انه ملأ علينا ذلك المخلوق الصعبة خيلاء وغطرسة وطغيانا وعتواً حتى صرن يشبهن القردة الهنود القردة المقدسة التى لشعورها بمنزلتها السامية عند عبادها قد أصبحت تظن انها قادرة أن تفعل ما تشاء كما تشاء

أن مركز المرأة أعنى السيده فى أوروبا كادت لا [illegible] لا تصلح وهذا رأى القدماء وما أحسب [illegible] لما أصبحنا [illegible] به من آيات التشريف والتقديس حتى عادت تسمح على

الرجـل أنفاً وتقعد فوقه وتتقدمه الي صدور الحفـلات والمجالس وتنافسه في حقوقه وامتيازاته فحالتنا هـذه قد أصبحت موضع استهزاء الشرق وسخريته وأصبحنا نحن في نظر سكان آسـيا أعجوبة وأضحوكة ولو بعث الله يونان وروما القديمتين لنظرتا الينا كما ينظر الشرقيون الآن

وخلاصة القول أنه لا بد من انزال المرأة السيدة عن منزلتها الباطلة المـكذوبة الى مكانها الحقيقي أجـل اذا كان هناك مخلوق يجب محوه من الـكون فهو السيدة الأوروبية لأنها خارجة عن نظام الـكون . نحن لا نريد السيدة وانما نريد ربة البيت الخبيرة بشؤونه العليمة بطرق تدبيره المؤدبة المتواضعة الخاضعة العارفـة وظيفتها ومنزلتها وقدر نفسها غير الشامخة ولا المتغطرسة ولا المتـكلفة ولا السخيفة التى أضحكت منا أهل العالم بالحمق والجهل والادعاء الـكاذب ويعجبني ماقال اللورد بيرون في هذا الصدد وهو من بعض رسائله (مركز المرأة في يونان القديمة معقول مستصوب مركزها الحالي بقية من وحشية العصور الوسطى عصور

الاقطاعيات والفروسية وذلك انه مركز كاذب مصطنع الواجب عليهن الاهتمام بشؤون البيت وان يطعمن الطيث ويكسين الجديد ولكن لاينبغى اختلاطهن بالرجال أو دخولهن فى حومة المجتمع ويجب تعليمهن الدين ومنعهن من الشعر والسياسة وأن لا يصل الى أيديهن من الكتب إلا ما كان خاصاً بالفقه والطبيخ وقد أبصرتهن ليشتغلن فى اصلاح الطرق فى بلدة ايبيراس فرأيتهن يجدن هذا العمل

البيان فماذا يقول دعاه السفور بعد كلمة هذا الفيلسوف الألمانى الكبير .



الفصل الخامس

الزواج
و
تعدد الزوجات

نظرة فلسفية عامة فى هذا الموضوع

للفيلسوف الانكليزي « دافيد هيوم »

لما كان الزواج عقداً يبرم بين الذكر والأنثى عن اتفاق وتراض . وكان الغرض منه المحافظة على النوع فمن البديهى أنه لا يمكن أن تكون شروطه واحدة بعينها فى جميع الأحوال المختلفة ولكن متنوعة حسبما يقتضيه الاتفاق ولذلك كان من الحماقة أن يحسب الناس أن الزواج يمكن أن يكون على صورة واحدة فى جميع العصور والأمم . ولولا أن الناس مقيدون بالقوانين والشرائع لم تكد تجد زيجتين

متماثلتين فى الدنيا . بل لـكنت تبصر بين كل زيجة وأخرى من الخلاف ماتراه بين سائر أنواع العقود والمساومات فعلى حسب اختلاف الظروف ومزايا القوانين المتعددة تختلف شرائط الزواج التى تفرضها هـذه القوانين فى الأماكن والأزمان المختلفة . ففى ميناء « طونكين » من بلدان الصين اعتاد البحارة الأفرنج الذين يرسون بهذه الميناء أن يتزوجوا من الوطنيات مدة موسم البطالة . والأمر المدهش العجيب أن هؤلاء الزوجات بالرغم من قصر عمر هـذا الزواج ويأسهن من بقائه يعطين أزواجهن أوثق العهود على ملازمة العفاف والصون لخـدورهن وحسن القيام بجميع مالهم عليهن من الحقوق

وتتابعت مرة حروب وأوبئة على جمهورية أثينا (فى عهد قدماء اليونان) فأفنت جانباً عظيما من أهلها فأباحت الجمهورية للرجال زواج الاثنتين تعجيلا بتعويض خسائرها واتفق فى ذلك الوقت أن الشاعر التمثيلى الكبير (يوريبيدز) وقع بين امرأتين شريرتين فسامتاه سوء العذاب بكثرة

مشاجراتهما ومنازعاتهما حتى بغضتا اليه النساء فبقى الى آخر عمره من ألد أعداء الجنس اللطيف

وحدث فى بعض الأزمان أن سفينة غرقت على كثب من ساحل بلد قفر غير معمور فنجا جانب من ركابها ولاذوا بذلك الساحل وتصادف أن عدد الرجال فيهم كان أضعاف عدد النساء . فوقع الخصام والنزاع بين الذكور لتزاحمهم على الأناث ففض القبطان المشكل بتقسيمه العنصر اللطيف على رجاله بالطريقة الآتية : اختار امرأة جميلة لنفسه خاصة . وأعطى امرأة واحدة لكل اثنين من النوتية المتوسطى الدرجة . وامرأة واحدة لكل خمسة من النوتية الأصاغر .

ولقدماء البريطان أسلوب فى الزواج لا يوجد بين غيرهم من الأمم . وذلك أنه كان يجتمع عدد منهم — عشرة أو اثنا عشرة — فيعيشون معاً وهو أمر ضرورى لضمان البقاء فى تلك العصور الهمجية . ثم لتوثيق عرى الألفة والاتحاد بينهم كانوا يتخذون مثل عددهم من النساء

ليكن زوجات مشتركة بينهم جميعاً بلا تخصيص . وكل مايولد لهم من الذرية يعدونه ولداً للجميع على السواء . ويقوم الكل معاً بتربية هذه الأولاد وتموينهم

نظام الزواج

أما بين الحيوانات فلما كانت الطبيعة هى المشرع الأعلى فهى التى تقوم بوضع القوانين الضابطة لشؤون زواجها وتنوع هـذه القوانين تبعاً للظروف الخاصة بكل حيوان . فحيث تسهل الطبيعة أسباب الغذاء والحماية للحيوان المولود فان زواج الأبوين ينتهى عند انقضاء الثروة الأولى اذ يترك الفحل ولده للأنثى ويمضى لشأنه . أما فى الظروف التى يصعب فيها استحضار الغـذاء فان الزواج يستمر مدة موسم كامل حتى يصبح الولد قادراً على تموين نفسه وعند ذلك ينحل عقـد الزواج من تلقاء ذاته ويصبح كل من الطرفين حراً مستعداً للدخول فى تعاقـد آخر فى الموسم المقبـل . أما الانسان فلما كانت الطبيعة قد وهبتـه العقل

فلذلك لم تعن العناية التامة بتجديد كل مادة فى عقد زواجه ولكنها أباحت له تحديد هذه المواد حسبما تقتضيه ظروفه الخاصة . فنشأ عن ذلك الصور المختلفة للزواج كتعدد الزوجات فى أمم المشرق واباحة الطلاق عند قدماء اليونان والرومان . أو تقييد رجل بامرأة طول حياته فى أوربا الحديثة وهنا يجدر بنا أن نبحث فى مزايا ومضار كل واحد من النظامات المختلفة

قد يقول أنصار تعدد الزوجات إن هذا النظام هو الدواء الوحيد لآفات العشق والوسيلة الوحيدة لتحرير الرجل من استعباد المرأة اياه الذى هو نتيجة لزومية لعاطفة الحب فهذا النظام وحده (أعني تعدد الزوجات) هو الكفيل لنا باسترداد حق سيادتنا على المرأة . لأنه باشباع شهوتنا الى النساء يعاد الى نفوسنا سيطرة العقل على الهوى وبالتالى يعاد لنا نفوذنا وسلطتنا فى بيوتنا . فالرجل مع النساء كالحاكم الضعيف مع رعيته فكما أن هذا لا يستطيع أن يقاوم مكايد الشعب ودسائسه الا بتسليطه بعض الأحزاب على بعض

فكذلك الرجل باشماله نار الغيرة بين نسائه يصبح مطلق النفوذ والسلطان عليهن . وفى المثل السائر « فرق تسد » وان ترك هذه الخطة هو الذى أوقع الأوروبى من الرق والعبودية فيما هو أمر وأدهى من حالة رعايا ممالك الشرق الذين يخضعون لحاكم هو على كل حال بعيد عنهم ولكنهم فى بيوتهم حكام مطلقون وملوك مستبدون

الاعتراض على تعدد الزوجات

وعلى نظام تعدد الزوجات قد يعترض بحق بأن استعباد الرجل للمرأة هذا انما هو ضرب من الظلم والاغتصاب وانه يفسد صلة المساواة التى يجب أن تكون بين الرجل والمرأة وأن الطبيعة قد جعلت من الرجل حبيباً للمرأة وعاشقا وصديقا . أفيليق به بعد ذلك أن يستبدل من هذه العلاقات الودية المحبوبة علاقات العبودية الكريهة التى بين الجبار المستبد والغشوم الطاغية

وماذا نستفيده من هذا النظام . هل نستفيد من وجود

كونناعشاقاً أو منوجهة كوننا أزواجاً . كلالا فائدةالبتة . لأن هذا النظام الاستبدادي يفسدفى نفوسناصفات العاشق وصفات الزوج معاً . ألا ترى أنا بهذا النظام نفقد ألذ أدوار الحياة أعنى دور المغازلة والتودد الذى يقع بين الخطيبين قبل الزواج الاختيارى القائم على رغبة الطرفين ورضاهما . فان هذا الدور اللذيذ لا يتفق مع النظام الاستبدادى الذى تباع فيه المرأة للرجل بيع السلع فى الأسواق . وان الزوج الذى يهتدى الى ائتلاف جميع عناصر الحب الا عنصر الغيرة ملئ بالخيبة والخسران ، فان الغيرة بين سائر أركان الحب الممتعة الشهية هى كالشوكة بين أوراق الوردة الناضرة ، والويل للأحمق المأفون الذى ينتزع أوراق الوردة فينبذها ويحتفظ بالشوكة

وهكذا نرى أن هذا النظام الاستبدادى « القاضى بتعدد الزوجات » الذى يتلف كل عناصر الحب الا الغيرة انما هو عامل فعال فى حل روابط الحب والصداقة فان الغيرة تقطع أسباب الاخوة والوداد بين الأفراد وتفصم عرى الثقة

والعقيدة ، فترى الرجل لا يجرأ أن يدعو الى داره صاحباً أو صديقاً مخافة أن يكون قد جلب الى زوجاته عاشقاً مفرارا ولذلك ترى البيوت والأسر في بلاد المشرق منعزلة منفصلة كأنها الممالك المستقلة ، فلا عجب والحالة هذه أن تاقى سليمان (الملك والنبي) يذم الدنيا ويعدد آفاتها ومصائبها مع ما أوتى من أبهة الملك ورغد العيش وسط زوجاته السبعمائة وسراريه الثلاثمائة لأنه كان مع كل هذه المتاعب لا يجد صديقاً واحداً يشاركه فى أفراحه وأتراحه ، ولو كان جرب لذة الحياة الغربية التى تنعم بها أوروبا الحديثة — وهى زوجة أو رفيقة واحدة وبضع أصدقاء وعدد وافر من الجلاس والسمراء لوجد الحياة أخف محملا وأحلى مذاقاً — عجباً للانسان يمحو من حياته عنصرى الحب والصداقة ماذا بقى فى الحياة — لا در دره — بعد ذلك ؟



الفصل السادس

نتائج نظام الزواج الشرقي

ومن نتائج هـذا النظام الزواجى الشرقى أيضاً سوء تربية الأولاد لاسيما أولاد السراة والأعيان ، وماذا تنتظر من ذرية تنشأ بين أمهات رقيقات وآباء جبابرة الا أن يشبوا على طبائع الذل والجبروت فيصبحوا عبيداً أذلاء وطغاة جبابرة ، فتراهم فى مخالطتهـم رؤساءهم ومرؤوسيهم لا يكادون يذكرون ان الله قدخلق الناس أمثالا متساويين بالفطرة وماذا تنتظر من والد له خمسون ولداً أن يكون مبلغ اهتمامه وعنايته بغرس مبادىء الآداب والعلوم فى ذرية لا يكاد هو نفسه يلم بأطرافها أو يعرف أفرادها ، لهـذه الأسباب كلها يظهر لنا أن الانحطاط والبربرية نتيجة لزومية لنظام تعدد الزوجات

ومما يزيد النظام المذكور شناعة آفة الحجاب وتضييقة

الخناق على الجنس اللطيف فى كافة أنحاء المشرق ، ففى هذه الأقطار يمنع الرجل البتة من كل اتصال بالأناث حتى الاطباء والجراحين فلا يسمح لهؤلاء أن يعودوا النساء فى أمراضهن إذ يكون المرض قد أخمد فيهن كل شهوة بريئة وأثيمة وصيرهن من الوهن والذبول بحيث لا يطمع فيهن طامع وقد حدثنا الطبيب (تورنيفورت) انه لما استدعى الى سراى الحرم السلطانى بالاستانة أدخلوه صالونا فسيحاً فنظر فاذا أذرع ممدودة خارجة من ثقوب فى جانبى الصالون يمنة ويسرة فتناهى عجبه من ذلك المنظر المدهش وسأل عن سر ذلك فأعلموه ان هذه الأذرع تتصل بأبدان مريضة وأنه مأمور أن يداوى هذه الأبدان دون أن يفحص شيئاً منها خلاف تلك الأذرع وأنه محظور عليه أن يسأل المرضى أو غيرهن من الخدم والوصفاء أدنى سؤال خشية أن يؤدى ذلك الى التساؤل عما لا يصح اعلانه من حديث القصر ومن ثم كان ما يدعيه أطباء الشرق من استطاعة معرفة كافة الأمراض بواسطة النبض فقط شبيهاً بدعوى الدجالين عندنا

(اتكلتره) معرفة المرض بمجرد النظر فى البول وظنى انه لو كان الطبيب تورنيفورت من أولئك الدجالين لا يسمح له أهل البلاط الملوكى فى الاستانة بهذه المادة (البول) يستعين بها على ممارسة فنه وصناعته وذلك لفرط غيرة الأتراك على المرأة

أما وقد دحضنا نظام «تعدد الزوجات» وقضينا عليه لنظام «توحيد الزوجة» فلنبحث الآن فى موضوع الطلاق هل يصح أن يكون اختيارياً كعهده أيام اليونان والرومان وهنا نورد الحجج التى يقدمها أنصار «مذهب الطلاق» والأسباب المبنية عليها هذه البراهين

الانتصار لمذهب تعدد الزوجات

يقول انصار هذا المذهب أن الزواج كالقرص من عسل النحل فيه الشهد والشمع — فالشهد هو ما يسبق العرس من زمن المغازلة والزلفى الى المعشوقة والتردد وما يحتويه ذلك الزمن من حوادث القرب والبعد والوصل والهجران والخصام والتصافى — وبعد هذا الدور اللذيذ

ينتهى العسل ولا يجد الزوجان أمامهما سوى الشمع ثم يحدث بينهما الفتور والجمود والملل والضجر والمشاحنات والأذى وهذه الجراح لا يزيدها الزمن الا اتساعاً أليس الأصوب والأليق بنا والحالة هذه أن نفرق قلوباً لم تخلق على مثال واحد ولم يرد الله أن تتآلف وتمتزج ولكنها قد تجد أشكالها وأشباهها فى أناس آخرين اذا هى انفصلت وتزيلت وأن يتفرقا يغن الله كلا من سعته

هذا وحرية الطلاق ليست فقط دواء التشاحن والكراهة العائلية بل هى أيضاً وقاية من هذا الضرر وهى السرّ الوحيد فى استبقاء تلك المودة التى بين الزوجين فى أول الأمر وبيان ذلك أن الرجل يفرح بنعمة الحرية ويغتبط ومجرد فكرة المضايقة والتقييد تؤلمه أشد الألم فاذا فيد قلب الرجل بعشرة المرأة التى يضمها لنفسه الا عن محض ارادة واختيار فان العاطفة تتغير فى الحال وتنقلب عن الميل والرغبة الى النفور والزهد فاذا كانت القوانين تحرمنا بنظام (توحيد الزوجة) لذة التنويع والتنقل التى هى من

أكبر لذائذ الحب أفلا أقل من أنها تبقى لنا مزية الحرية التى هى من أوجب ضروريات الحب ولا يقولن أحد لصاحب مبدأ الطلاق (ارض زوجتك فانك أنت الذى اخترتها بمحض هواك وعرضك) فعلى مثل هذا المعترض نرد بالكلمة الآتية (نعم لقد اخترنا سجننا بأنفسنا ولكن لاعزاء لنا فى هذا اذ كان لا مفرّ من بقائه لنا سجناً مؤبداً .

الرد على مذهب حرية الطلاق

ويقدم المعارضون لمبدأ حرية الطلاق نفياً للحجج الآنفة ردين قاطعين وهما :

أولا — ماذا يكون مصير الأولاد بعد افتراق الزوجين لامناص من ترك معظمهم لامرأة أب يلقون على يديها كراهة عدوه لهم أو اهمال أجنبية غريبة باردة القلب من ناحيتهم أفليس فى الطلاق الاجبارى (الموت) كاف لايقاع تعساء الأطفال فى هذه البلية حتى تضاعف عدد هؤلاء التعساء بمضاعفة حوادث الطلاق ووضع سلطته

الرهيبة فى أيدى الأزواج ينفذونها لأقل باعث من هوى أو شهوة مما يسوق الذرية الى موارد العذاب والأسى

ثانياً — لامشاحة فى ان الانسان يثور بفطرته ضد الأسر والتقييد ويفرح بالحرية ولكنه من جهة أخرى يخضع للضرورة ويوطن النفس على الشيء الذى لا مناص منه ولا موئل وهذان المبدآن مبدأ كراهة التقييد والرضا بالواقع الذى لامحيص منه ان قلت انهما متناقضان فهذا حق

ولكن أليس الانسان الا خليطا من المتناقضات ومزيجاً من الأضداد وهذا وان الضدين من أخلاق المرء لا تراهما فى العادة يحاربان ويمحو أحدهما الآخر ولكن ترى أحدهما يتغلب على الثاني تبعاً للظروف الخاصة الملائمة له المؤيدةلسلطانه فطبيعة النفور من تقييد وكراهة التضييق تقوى وتستفحل فى دور العشق الذى يسبق الزواج لأن العشق بطبيعته عاطفة قلقة مملوءة بالأهواء المتضاربة والنزعات المتباينة فهى تنشأ فجأه من تأثير لحظ أو ابتسامة أو ملاحة أنف أو وجنة أو حركة أو جلسة أو

خطرة أو من لاشيء ثم تنطفئ وتزول على هذا النحو فمثل
هذه العاطفة تتطلب الحرية قبل كل شيء أما مبدأ الصداقة
والعشرة فهو خلق ساكن هادىء يديره العقل وتؤيده العادة
وينشأ عن طول الصحبة وتبادل الافضال والمنن — وهو
خال من أسباب الغيرة والظنون والمخاوف مجرد من طوارى
الغضب والرضا وحوادث الهجر والوصل ونوبات الحميات
الباردة والحارة التى يتألف من مجموعها هذا العذاب العذب
والألم اللذيذ الخاص بعاطفة العشق فمثل هذا الخلق الهادى
(أعني الصداقة بين الزوجين) التقييد اكفل باستمراره
والتضييق أضمن لقوته وبقائه فهو لايبلغ أقصى غايته
الا اذا ارتبط الزوجان بروابط المصلحة والضرورة حتى
يتفقا فى المقصد ويتحدا فى الغرض والغاية فلا خوف إذن
من ابرام عقدة الزواج الأبدى فانه أوكده لمودة الزوجين
اذا كانت متينة من الأصل وأحرى أن يكسبها قوة
ومتانة اذا لم تكن كذلك ولو مشاجرات تافهة وأكدار
بسيطة يتقاضى عنها الزوجان اللذان يعلمان انهما مربوطان

بقيد الزواج الدائم وهى اذا وقعت بين اثنين غير مقيدين هذا القيد كانت مليئة أن تهيج الشر بينهما الى أقصى درجات المقت والعداوة .



الفصل السابع

سعادة الزواج

أساسها

حسن المعاشرة

سعادة الزواج متوقفة على صلاحيته وصلاحيته متوقفة على معرفة الرجل لطبيعة الزوجة التى ستشاطره حياته وتشاركه فى عيشته ومعرفة الرجل لطبيعة المرأة وكنهها وماهيتها متوقفة على سعيه لمعرفة صفاتها العقلية وخواصها العواطفية التى تميزها عن الذكر . فليعلم الرجل ان الحالة الجسمية تكون فى المرأة أشد ارتباطاً وعلاقة وأقوي فاعلية وتأثيراً على ذهنها وعواطفها مما تكون فى الرجل . وبيان ذلك أن وظيفة الأمومة (أى وظيفة المرأة من حيث كونها اماً تلد أولاداً وترضعهم وتسهر على تربيتهم) تعرضها الى الجسم الكثير من العلل والأمراض مما لا يصاب

به الرجل ويكون للمرأة مصدر اضطرابات نفسانية وتقلبات وجدانيه وحالات عواطفيه موجبه للهم والضيق وللملل والضجر والسآمة الناشئة عن اختلال الأعصاب وهياجها مما يحير الزوج ويربكه اذ كان لا يفهم له علة ولا سبباً

فليعرف الرجل ان ما يعاب على المرأة من هذا الضجر وسوء الخلق والصدوالجفاء والعناد ـ هذه النقائص المجهولة السبب انما تنشأ من عين ذلك المصدر الذى تنبعث منه محاسنها المعروفة ومكارمها المعهودة أعنى العطف والحنان والرأفة والرحمه والصبر على المصائب والتجلد للأرزاء والنوائب وانفساح ساحة الصدر لاحتمال سوآت الزوج ومعايبه وتدفق ينابيع القلب بالحب الغزير له والكل من لا ذنب

واعني بهذا المصدر الذى هو منبع سيئاتها وحسناتها فى آن واحد ـ تركيبها الجثماني ونظام جهازها العصبي ـ فان عليهما المدار في كل تقلباتها واضطراباتها واختلاف أحوالها وتلون أطوارها وأدوارها ـ فهما مصدر عطفها وحدتها ورقتها وغضبها وشدتها ولينها وانشراحها وانقباضها وحلمها وجهلها .

أجـل أن ما تفردت به المرأة من شيمها الملائـكية وشمائلها الفردوسيةوسجاياها الحورية لهى من فرط الحلاوة والعذوبة بحيث لايشبع منها الرجل ولايروى غليله فلاجرم اذا رأيته قد أولع بهذه الشمائل وراح صبابها مستهاماً وشغفاً مفتوناً وكلفاً مغرماً وجائعاً نهماً . فهو لا يبرح يطالب عشيقته أو حليلته بهـذه الشمائل العـذبة والسجايا الممتعة المطربة فى كل لحظة وآونه ويريدها على أن تظل على الدوام فرحة مرحة طلقة الجبين برّاقة الأسارير منشرحة مبتهجة الوفا عطوفاً رخوة العنان سلسلة المقادة . ولـكن الطبيب الحاذق أو الزوج المحنك المجرب ينبئك عن المرأة انها كثيراً ما تصاب من اختـلال الوظائف الحيوية وارتباك الأعضاء الباطنية واضطراب الأعصاب بنوع من الضيق والـكرب والضجر والملل والتبرم لا يقوم لمقاومته ولا ينهض بمعالجته صبر أيوب . ولا تجلد يعقوب . ولا احتمال الشهداء . ولا تجمل أولى العزم من المرسلين والأنبياء فاذا أبصر الرجل زوجتـه بهذه الحال من الضجر والتبرم

وسوء الخلق ذمها وعابها وأنحي عليها باللائمه واتهمها بقلة الوفاء واضاعه العهد والود وزنها بالغدر والخيانه وقال أنها قد ملت صحبتـه وسئمت عشرته وانه بغيره مولعه وبسواه صبة مغرمه وانها تبغي به بدلا ومنه عوضا وتتحين الفرص للخروج من عصمته ، والافلات من قبضته — الى غير ذلك من التهم الباطلة والظنون الكاذبة — التي لا منشأ لها الا جهله بحالتها الجثمانيه وجهازها العصبي وهـذا الجهل ناشيء عن قلة علمه بالمسائل الطبيه ولاسيما الطب النسائى . فالى هذا الجهل يرجع مايرتكبه الزوج مع زوجته أو الخاطب مع خطيبته من الظلم البين والجور الفاحش فى نسبته ما يعتريها أحيانا من هذه العلل العصبيه الى سوء الخلق والعناد . أوالى قلة الوفاء واضاعـة العهد والوداد . أوالى الغـدر والخيانة والكره والبغضاء

لا أنكر أنه يوجد بين النساء من هن شرسات بالفطرة صخابات بالغريزة سوالات أو من قد جبلن على سايقة الحقد وحب الانتقام وأو على الغـدر والخيانة — ولكن هؤلاء

أقل فى الواقع مما يتصور الرجال إذتراهم لا يكادون يفرقون بين من هن كذلك بالفطرة والغريزة وبين البريئات المظلومات اللواتى اذا بدت عليهن أعراض هذه السوءات والمعايب لم يكن ذلك الا نتيجة تعب الأعصاب وانتهاكها حتى تعود عاجزة عن مقاومة المكدرات العاديه والمنغصات اليوميه والحق يقال ان المرأة تلقى فى سبيل تغلبها على دواعى الهم والكدر وعلى استبقاء علامات البشر والطلاقه على الرغم من أنها ما هو أشد وأصعب مما يلاقي الرجل فى هذه السبيل بعينها

ولا أنكر أيضاً أنه يوجد بين الرجال الرجل الشتّام السبّابة الفحاش الذى قد حذق فنّ البذاءة وأتقن صناعة السب حتى بلغ فيها الأمد وجاوز الحد ومن عجب أنك ترى مثل هذا الرجل يقل عاذلوه ويكثر عاذروه . فيقال عنه : لا حرج على فلان ولا جناح ، انه معذور ، انه مسكين مصاب بهذا الداء أو ذاك ، كان الله فى عونه . فما بالنا ننتحل للرجل أمثال هذه الأعذار ولا نصنع مثل ذلك بالمرأة .

وهي أحق وأولى ، ولاسيما اذا تذكرنا تركيب جسم المرأة وبنيتها وما امتازت به هذه البنية والتركيب من شدة التعقيد التي قد أصبحت معها أجهزتها الحيوية ونظام أعضائها وأعصابها لغزاً من الألغاز وسرّاً من الأسرار مماهو منافٍ لحالة الرجل — واذا تذكرنا أيضاً ماقدعرضتهن له الطبيعة من عظيم الآلام وجسيم المشاق — كأوجاع الحمل والولادة ومصاعب تربية النسل وحسن القيام على الذرية وهلم جرا .

لاشك ان المرأة أسرع تأثراً وهياجاً من الرجل؟. وهذا التأثر والاهتياج السريع يظهر عليها في عدة مظاهر ، ولقد أجمع الناس على أن قلب المرأة أرق من قلب الرجل وأحن وأرحم لأنه أسرع تأثرا ، وقد أثبت الطب أن قلب المرأة أسرع دقات تحت الهياج العصبي من قلب الرجل وما زالت الخصلة الحميدة أعني خصلة «اجابة احساس الغير بمثله» من المزايا التي امتازت بها المرأة على الرجل واستأثرت بها من دونه اللهم الا الفئة القليلة من الرجال النسوانيين (الذين لا حكم لهم) ممن قد أشبه النساء في هذه الخصلة الملائكية

حتى ليقال عن أحدهم فى منتهى المدح والاطراء « انه ليحمل بين جنبيه قلب امرأة » وكذلك قد أقر الناس على اختلاف أجناسهم وأنواعهم وتباين مشاربهم ومذاهبهم على أن المرأة أسرع فزعاً ورعبا من الرجل، وان كان هذا لا يمنعها في الأحايين الكثيرة من إظهار الشجاعة والبسالة والجلد والاحتمال فى الأزمات الشديدة والمواقف الحرجة وعند الضرورة القصوى . وقد عرف عن كثير من ذوات الأعصاب القوية المتينة في ساعات الروع والفزع وأوقات الهول والخطر من عزمات الصبر والجلد ورباطة الجأش واستجماع القوى وفرط الاقدام والجرأة والبسالة مايحسدهن عليه الرجال وما لم يزل مدونا بحروف الذهب فى صفحات التاريخ ومتداولاً على ألسنة الرواة فى البدو والحضر، ممن غبر وحضر .

فاعلم — علمت الخير — ان سرعة استياج النساء للغضب والعناد والنفرة والصدود وسوء الخلق — تلك الخصلة التى حيرت العشاق والأزواج منذ طفولة الدهر وبدء الخليقة —

انما هي شعبة من هذه الصفة المحمودة والخلة المحبوبة أعنى رقة الشعور وحدة الاحساس الناشئة من فرط حساسة الجهاز العصبي — والتى هى عينها المصدر الوحيد لما امتازت به المرأة من جميل الخصال وحميد الخلال وعذوبة الأخلاق وحلاوة الشمائل . ومن أعجب العجب أن هـذه النوبات العصبية وهذا الهياج السريع يبدو لنا فى أقصى غاياته وأحلى مظاهره فى ساكنات المستشفيات الجنوبية من النساء فقد قال أحد أطبائها « إنى لا أنتظر الجنون الهادىء الساكن من النساء الا اذا انتظرت أن أبصر شلال نياجرا ثم لا أسمع له جلجلة ولا هديرا »

الحب والزواج

الحب المتبادل بين الزوج والزوجة يجب أن يكون أول العقود بين الزوجين ، يجب أن تكون المين والتماب أول رائدين للزوج والزوجة ، لانه لما كان أول واجبات الزوجين عقب الاقتران هو اخلاص أحدهما الحب للآخر

ولما كان الحب مما لا يملكه الانسان بل هو اضطرارى أصبح ذلك الواجب يستلزم واجباً أسبق وهو التحاب قبل الزواج هذا هو قانون الطبيعة الذى لا ينقض

والحب عاطفة قوية أوجدها الله فى عبده وسيلة الى النسل والالفة التى عليها صلاح العالم وسعادته . وقد يقبح فريق من المتطرفين فى الجد والوقار عاطفة الحب ويسمونها صبيانية ويحمدون من الناس من خمد فى نفسه الحب واشتعل مكانه الطمع فى المال أو الشهرة فيقولون هذا رجل الجد والعمل وربما أيدوا قولهم بالاشارة الى ما يأتيه بعض الفاسقين اذا صح أن الحب من بعض بواعثهم على الخبائث فانه الحب الفاسد ونحن انما نذكر الصحيح وقد قلنا ان العواطف من أسباب الصلاح ما صلحت . فاذا فسدت كانت من أسباب الفساد .

والعواطف اذا تركت فى مجراها الطبيعى كانت صالحة وهكذا كل شئ يجرى على سنة الطبيعة يكون صالحا ولا يجىء التلف إلا من قبل الانسان الذى يجمع بين الغرور

والجهل وبين التعاظم والحماقة فمن سنة الطبيعة انها منحت الانسان الشباب ليكون باعثاً له على الولوع بمحاسن المرأة حتى تصبح هذه المحاسن فى عينه أجلى مظهر لروح الجمال والشرف وجوهر الصدق والطهارة أو كما يقول وامرسون وسائر نوابغ المغرب : تصبح المرآة أجلى مظهر للذات الالهية حتى اذا انقدحت بين الفتي والفتاة شرارة الحب الصحيح لم تزل تعظم حتي تشمل أشعتها جميع خلق الله وتضيء الكون أجمع بسناها العميم هذا قانون الطبيعة الذى لا يزال عبيد التقاليد وأسرى العادات تعملون على نقضه وفسخه ويسنون بدله قوانين باطلة ممقوتة تدل إلى الفساد والشقاء حتي يعود الشباب الذى هو من أكبر نعم الله آفة للشباب ومحنة فاذا الشبيبة أوقدت الحب فى نفس الفتي الدقيق الشعور اللطيف الروح إذا الشبيبة أوقدت ذلك اللهيب الذى ينبغى أن ينقى النفس من الخبائث كما تنقى النار الذهب والفضة — لم يجد الفتى من يوجه اليه ذلك اللهيب الطاهر أو وجهه إلى من ليس بأهله أو لى من يرده

عليـه مشفوعاً بالاحتقار وفى جميع هـذه الاحوال يرجع اللهيب على صاحبه بالاحراق فيذهب بأمله وربما يصحب الأمل من صفات حب الغير والرحمة وارادة الخير . ذلك اذا كان الفتى من طبعه رقيق الشعور لطيف الروح فاذا كان جامداً كثيف الطبع لم يلبث أن يخبو فى نفسه لهيب الحب . ونحن لا نزال نبصر من أمثال هـذا من تراهم يشغفون فى شرح الشباب بتوافه الأشـياء يجعلونها بدلاً من الحب والجمال فمولع بالخيـل ومنهوم بالمقامرة ولهج بلعب الطاولة ومغرم بالطرابيش والكرفتات ومشغوف بلا شئ إلى غير ذلك .

هـذا الطبيعة قد جعلت للانسان عصر لذة ونعيم وتنقية للنفس وشحـذ للحواس وامضاء للذهن وتفتيح للطبع حتى ينفسح المجال ويصـير مرآة لجميع ما خلق الله وحينئذ ترفرف نفس الانسان على جميع البشر والحيوان والجماد وتحنو عليها وهذا منتهى العبادة قال الشاعر كولريدج ﴿ أتقى الناس وأعبـدهم أحبهم لمخلوقات الله وأرحمهم لها

هذه الطبيعة قد جعلت عصر الرجولة عصر طمأنينة وسعي في صلاح العائلات وهنائها المترتب عليه سعادة المجتمع وعصر حب عام ورحمة تسع الارض والسماء وجعلت زمن الهرم زمن استمتاع بتأمل ماصنع الانسان من حميد الآثار والتذاذ بحساب ما سيكون لتلك الآثار من مستقبل الخير والنفع وزمن سرور بقرب لقاء الله والانتقال إلى الدار الأبدية هذه سنن الطبيعة التي نقضها الانسان بل عكسها فانعكست نتائجها وأمسينا نرى عصر الشباب مملوءا اما بالجمود والبله والحماقة أو بالترق والفجور والغرور الخ ولا نبصر فرقاً كبيراً بين الانسان في زمن الشباب وبينه في أيام الرجولة أو الهرم فهو طفل الشبيبة طفل الرجولة طفل الهرم. نعم ما أقل الفرق ياأخي بين طفل العشرين وطفل الاربعين وطفل السبعين وأكبر أسباب هذا الفساد هو كما رأيت عكس القوانين الطبيعة.

ولم يزل كتاب الغرب يعزون بعض نقد العائلات الى الزواج المتنافر أعني الزواج من غير سابقة حب وانتقاد

فمن أنفس ما كتب فى هذا الصدد شعر لملتون يقوله على لسان آدم فى كتابه الشهير « الفردوس المفقود » هذا منثوره « ولن يجد الانسان زوجة موافقة بل سيكره على من تربطه بها نوائب الزمن فى أغلاط القضاء، فأما من يشغف بها فسوف يفوته بها الغرور والتمرد حتى يجدها زوجة لرجل خسيس غبي، فاذا مالت الحسناء زجرها عنه أبواها وربما عشق من هى حليلة عدوه فيعاني فى حبها الخجل والبغضاء وسيكون هذا أصل البلاء وفساد المائلات » انتهى كلام ملتون .

وقد تكلم الكاتب أمرسون فى هذا الموضوع فأثنى على عيشة الفلاحين وقال انها أقرب العائش فى أمر الزواج الى الطبيعة وأجرى على قوانينها ثم قال ما معناه أما والله لو شهد ملتون عيشة هؤلاء الفلاحين لأبصر أناساً عافاهم الله فى أمر الزواج من تلك المصائب التى يذكرها على لسان آدم ثم استطرد الى الكلام الآتى :

لم شيئاً ألذ فى نفسى من اسفار آيات الودّ والرفق

فى الغلام الصغير . هـذه الآيات هى فجر الحب والرحمـة الذى ينفلق فى نفس الغلام الفـلاح الخشن . نرى الصبي الصغير قبل هذا الفجر اللذيذ يثقل مداعبة الفتاة إلى حد الاساءة حتى إذا برق فجر الحب أقبـل على الفتاة بأدب واحترام فحمـل لها كتابها ريثما تصلح ثوبها ثم يخيل له انها انتبذت مكانًا قصياً بل ليخيل له انها اتخـذت النجم مقراً وقد أقامت بينها وبينـه حاجزاً مقدساً فهو يخالط البنات فى غير اكتراث إلا واحدة قد تحصنت منه فى معقل منيع من حسنها وجلالها وهكذا تنمو فى الصبي البسيط أشرف العواطف عواطف الاحترام والاعجاب والحب . بل . أى شئ أحلى فى العين من رؤية الصبية ذات الثانيـة عشرة اذ تقف على حانوت القرية أمام الغلام ذى الرابعـة عشرة لشراء ذراع من الصوف أو قرطاس من الورق فـ[illegible] الغلام نصف ساعة عن لاشئ . وقد تنازع [illegible] جرأة الحب وحياؤه وتلون وجهها ألوانا . كذلك [illegible]

٧٥

علائق الحب الطاهر والرجاء والثقة بين فتاة الريف و فتاه وما هى إلا برهة حتى يحتاج الفتى إلى زوجه فيعلم أين يجد قرينـة حلوة العشرة ممتعة الأنس ثم لا يخشى أقل خطر مما ذكره الشاعر ملتون على لسان آدم



الفصل الثامن

العائلة ونظامها

(كيف تتوطد فيها دعائم الامن والسلام)

ان من أكبر عوامل الاضطراب الذى يعرو العائلات هو كثرة الخلاف بين الزوجين. فاذا تتبعنا هذا الخلاف الى مصدره الأولى ومنبعه الأصلى وجدنا ان ذلك هو تشديد الزوجة وصلابة رأيها ووعورة جانبها اذ لا تبرح تحاسب زوجها في أمر كل صغيرة وتافهة ولو تسامحت الزوجات فى كثير من المسائل وتغاضت وأرخت لأزواجها الأعنة يسترسلون فيما كان من مذاهبهم لايجر الى عواقب خطيرة أو نتائج مخشية مخوفة وما هو الا بعض نزعات الأهواء غير ذات التبعات العظيمة وبعض نزوات السورات غير ذات النتائج الجسيمة لاتنسج من عيشة الزوجين ماحرج وضاق. وسهل من أمرهما ما كان لولا ذلك لا يحتمل ولا يطاق.

لقد كتب على الزوجة الخضوع للرجل والانقياد لأمره والنزول على حكمه وحكم الرأى العام والنواميس الأدبية السائدة السارية والاصطلاحات الاجتماعية الشائعة الجارية . سنة الله التي ليس للمرء عنها محيد ولا منحرف الا إلى ماهو أضرّ وأقسى . وأمرّ وأدهى . لذلك كان من أهم الفرائض على أولياء الأمور أن يغرسوا فى طباع البنات فضيلة الطاعة وسلاسة المقادة واين العريكة بردعهن عن التمادى فيما يشتهين من الألعاب والملاهى . فان الاسترسال فى الشهوات هو أسرع البواعث على اكتساب رذيلة الطيش والنزق وكثرة التلون والتقلب المفضية الى الغرور والعناد والطغيان التي قلنا انها أكبر مصادر الشقاق العائلى .

فما أخلق أولياء الأمور بأن يعترضوا أحيانا ملاذ البنات بدواعى الجد والوقار حتى لا تمر عليهن لحظة واحدة ينسين فيها انهن مغلولات بعدة قيود أدبية واجتماعية . حتى تظل الفتاة وهى تلهو وتلعب جد عالمة بحقيقة واجباتها فى الحياة وفرائضها فاذا أهاب بها وهى فى حومة اللهو

واللعب صوت الواجب المقدس لبّت سريعة ونزلت عن صهوات سوابق اللعب والطرب فى ميدان اللذات والشهوات فاعتلت متون افراس الجد والاجتهاد فأركضتها فى ميدان الواجب والفريضة . وليس تعدم هذه التربية الشديدة ثمارها الحسنة من الاسراع الى أداء الفروض والواجبات الذى هو أهم صفات المرأة وأفضل فضائلها .

قال چان چاك روسو « لما قضى على المرأة الخضوع لمصالح النوع الانسانى مع ما لهذا النوع من الخبائث والرذائل والمآثم والخطايا وجب ان تعوّد المرأة احتمال مظالم الزوج وجور الانسانية فى صبر وسكوت . واستشعارها اللين واللطف والدماثة والرقة هو اقرب الى مصلحتها منه الى مصلحة الرجل . فليس فى استعمالها الخشونة والغلظة الا ما يزيد الرجل عسفا لها واضطهاداً . وقسوة وعناداً وجبروتاً واستبداداً . اذ يقول الرجل فى نفسه ما كنت والله لاعنو لامرأة وأذلّ وأهون وهى التي خلقها أضعف أسراً مني وأهون ركناً وأقل حيلة وحولاً وجعلها لى متعة ونزهة

وألعوبة وما كانت المرأة الضعيفة لتغلب حامل السيف والرمح بالساعد الرخص اللين المحلى بالأساور والدمالج وما كان الظبي ليغلب الأسد ولا ماكن الغاب ليذل لساكن القاع . والله سبحانه وتعالى لم يخص المرأة بصفات الوداعة والدماثة ورقة الخلابة والتلطف وحسن التودد والتزلف ليظهرن فى مظهر الغلظة والفظاظة والشكاسة والشراسة ولم يخلق النساء ضعافاً لطافا ليكن ذوات بأس وشدة وسطوة وسلطان وغطرسة وغلواء . ولم يرقق من أصواتهن ليستعملنها فى التهديد والوعيد والارعاد والابراق . ولم يابن من محاسنهن ويبالغ فى صقلها وتهذيبها ليشوهنها بالعبوس والتقطيب . على ان الشدة والعنف والشراسة ليست الأسلحة التى أراد الله أن تغلب المرأة بها بعلها . بل فى لين المرأة ولطفها ما يقهر الرجل ويخضعه وينال منه بما فيه اصلاحه وتقويمه ، اللهم الا أن يكون وحشاً ضاريا ، وجباراً عاتيا »



الفصل التاسع

شغف المرأة بالصولة والنفوذ والسلطان

ان الولوع بالسلطة والسيطرة الذى لا يزال يبدو من المرأة فى كل زمان ومكان لجدير بأن يقام ويصادم اذ كان أشد الشهوات سلطاناً على نفوسهن ، ولقد جاء فى أساطير الأولين مايشهد بتغلب هذا الميل حتى على ميلهن الى مباهاة الأتراب بالملاحة والجمال والادلال بالحسن وفاتن الخصال فقد ذكر الرواة انه قد بلغ من استياء النساء فى عهد يونان القديمة لحرمانهن ما يطلبن من السلطة على أزواجهن ان اجتمعن فى مؤامرة دبّرن فيها وسيلة لنيل تلك البغية ففاجأن أزواجهن وهم سكارى قد صدمتهم حميا الكأس وصرعتهم عصفة المدام فشددن وثاقهم ثم أخذن يجلن الفكرة فى استنباط أحسن حيلة لبلوغ غايتهن منهم ، فبعد طول الباحثة والمداولة أجمع رأيهن على فقأ عيونهم وسلب أبصارهم

مضحيات فى سبيل ابتغاء الاستقلال والسيطرة تلك اللذة التى كن يجدنها من المباهاة بجمالهن وقد هان عليهن فقدان ما كان يبذل لهن من شكاوى الوجـد والهيام . وزفرات الصبابة والغرام اذ كن بفقد هذه الملاذ قدفقدن أيضاً ما كان واقعاًعليهن من سلطة الأزواج واستبدادهم قائلات لا أسف على ضياع لذة قد ضاع معها أيضاً ما كان يبغض حياتنا من الذلة والهوان .

وقد توصل بعض النساء من ذوات الحيلة والذكاء إلى الجمع بين استبقاء سلطانهن على الأزواج واستبقاء أبصار أولئك الأزواج أيضاً وذلك يتزوجهن رجلا أحمق سخيفاً ضعيف العقـل والعزم والارادة يسلس لهن القياد ويعنو لشوكتهن ويخضع . فأمثال أولئك النساء أقسى ولا شك من اللواتى يفقأن عيون أزواجهن فيعاشرنهم عمياناً وتفوق أحد الفريقين فى مقدار هـذه القسوة على الفريق الآخر هو على قدر تفوق بصيرة الفؤاد على بصر العين .

وما أظن إلا أن معظم السبب فيما نرى للنساء من

هـذا الولوع بالسلطة راجع إلى سوء معاملة الرجال لهن ولو عامل الرجال زوجاتهن بالتى هى أحسن لما حرصن كل هـذا الحرص على السيطرة والسلطان وقد علمنا التاريخ ان التمرد والعصيان هو نتيجـة طبيعية للظلم والاستبداد وان العصاة إذا تغلبو وظفروا أوشكوا أن يصيروا مستبدين أيضاً فيرتـكبوا عين ذلك الجرم الذى كانوا يضجون من وطأته . ويصرخون من آفته ونـكبته .

فما أجدر كل من الزوج والزوجة أن يسلك مع قرينه وأليفه سبيل المساواة والمحاسنة . وهـذه النظرية مؤيدة بكلمة لامام الفلاسـفة وسيد الحـكماء أفلاطون وها هى :

قال افلاطون على سبيل التخيل والتصوير « لم يكن النوع فى بادئ أمره منقسماً كما نراه الآن إلى جنسين ذكر وأنثى بل كان كل فرد مزيجاً مركباً من عنصرى التذكير والتأنيث مجتمعين فى ذاته الزوج والزوجـة على أكمل ما يراد من الائتلاف والاتحاد . وقد بلغ من سعادة الانسان وراحته بفضل هـذا النظام الحكيم انه شرع يجحد نعمة الآلهـة

ويكفر بجميل آلائهم ويتمرد عليهم ويعصاهم . فلم ير كبير الآلهة ازاء ذلك الاعقابهم ثم فكر فلم ير عقوبة أنكى وانكل من تطليق بعض الانسان من بعضه الآخر وتحويله بتلك الوسيلة الى مخلوق أنقص مما كان فى سيرته الأولى . وهذا منشأ اختلاف الخلقة والتكوين بين الذكر والأنثى . ولكن الانسان بقى بعد هذا التغيير يذكر حالته الأولى ويتهلف على ساعة من ساعات عيشته الخالية ولذته الماضية . فهو فى قلق دائم وضجر مستمر أو ينضم ثانيا الى جزئه المفصول . وشطره المعزول . فاذا انضم أحد الشطرين الى الآخر بالزواج وكان زواجاً مباركا ميمونا امتزجا ثانيا كما كانا قبل الانفصال — بأوثق علاقات المحبة والوداد .
ولكن [illegible] ما يكون . [illegible] الواقع ان [illegible] اذا تزوج [illegible] على [illegible] التى [illegible] [illegible]

عن شطره الأصلى الحقيق الذى هو بغيته المقصودة وضالته المنشودة . فينضم الى كل من صادف ولاقى فى سبيله على سبيل التجربة وهو فى خلال ذلك حائر قلق لا يلذ عيشا ولا ينعم بحياة أو يصادف عنصره الحقيق وجوهره الأصلى والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

محاسن الزوجة الكريمة وفضائلها

الزوجة الكريمة هى ملجأ الرجل من عواصف الحياة وملاذه من آفات العيش وهى الحض اللين مع صلابته الغض الرطيب على حصانته ومناعته وهى الكهف المستطاب كأنه خلية الشهد الحلو الرضاب . العذب اللعاب . وهى كأنها قلعة من البور فى ضمانة العفاف ومعقل من الحرير فى خفارة الشرف والتقى . وهى الساحل المتين الصلب الرصين الذى يأوى اليه الزوج المتعب المكدود — ملاح عباب الحياة وغواص لجة الوجود . فهى الظل الوارف

الناعم الذى به يستظل سائح الانسانية (الزوج) بعدوعثاء السفر . ونفحات القر . ونفحات الحر ّ .

فى حلاوة الزوجة ورقتها مايمحو مرارة الزمن وخشونة الدهر . وكذلك الحسنات يذهبن السيئات .

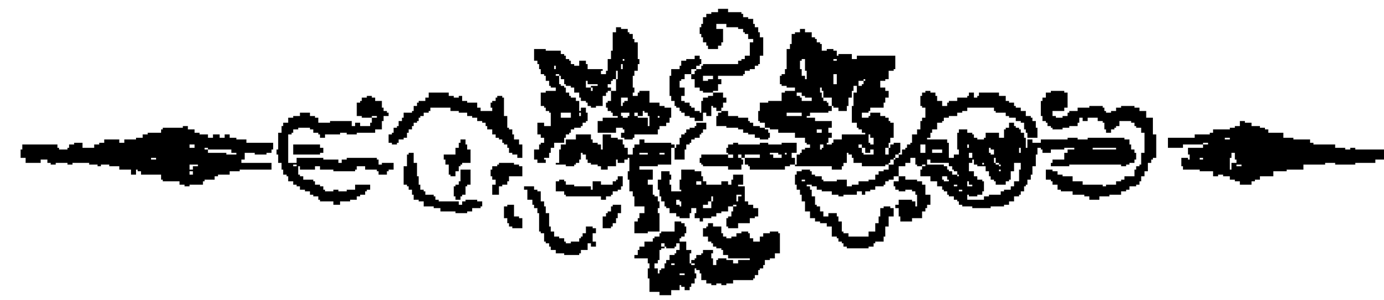
ان الزوجة لتبث حولها هواء من السرور والحبور لاتكاد تطرقه الأحزان كأنه هالة القمر أو دارة الشمس . وان الهموم لتضمحل فى صوت الزوجة كالخوف امام البشرى . واذا كانت نغمات الموسيقى هى شركة العقول وفتنة الألباب فقل ما شئت فى رخامة صوت المرأة الذى يفتن الموسيقى فى ذاته لو انه يعقل

المرأة تحفة الدنيا وزينة الحياة فمن أحكم تدبيرها وجنى ثمارها كان أميراً على أرفع أريكة وأسمى عرش . ومن أساء التدبير فخسر المرأة أو خسر حبها وعطفها فقد أضاع الدنيا بحذافيرها .

والمرأة هى المرآة التى تمثل مناقب الزوج حتى يرى فيها نفسه معكوسة على صفحاتها . والمرأة هي النهر

المنسجم الذى ينقل مكارم الأدب ووصاياه الى النسل والذرية مع ماللأم نفسها من المكارم والمحامد .

اذا بنيت عشرة الزوجين على الحب والاجلال أصبح لاهم ولا مقصد لأحدهما الا الظهور أمام الآخر كأكمل مايكون فلا تبرح أخلاقهما فى تحسن وارتقاء كالمادتين الخشنتين اذ طال احتكاكهما لم تلبثا ان تلينا وتنعما .



الفصل العاشر

صيانة الزوجات والبنات

ان الاتجار باعراض النساء قد بلغ من الانتشار مالا يسع معه لمكابر أن ينكر وجوده وحسب الانسان أن يبحث الأمر قليلا لتتجلى له الحقيقة . ومع هذا فنحن نرى الآباء والأمهات لا يعيرون المسألة أدنى حقها من الاهتمام والعناية ولا يأخذون لها مالا تستوجبه من الاحتراس والحذر بل يسلكون فى ذلك مسلك المفرط المتهاون والعاجز المتوانى وحسب أحدهم أن يقول « أنا أعلم ان ابنتى فى أمان من كل ضير . وفى موئل وملاذ من كل نكر وشر . انها تبيت بين جدران بيتى وحسبي بذلك وكفى . » وكذلك يبقى الوالد المغرور سادراً في عمايته . تائها في أودية غفلته وجهالته . حتى يوقظه من رقدته . وينبهه من غمرته . النبأ العظيم والخطب الجسيم . اذ يهب ذات صباح من فراشه فلا يجد لابنته أثراً :

ويبلغ عدد من يختفين من البنات سنويا بضعة آلاف، تتراوح أسنانهن ما بين أربع عشرة وعشرين . وفى جميع هذه الحادثات الأليمة يثبت ان القتاة الفارة كان اختفاؤها فجأة دون أن تكون قد أخذت يسفرها المهيب . وهربها الرهيب . أدنى أهبة أو عدة . وقلّ من هؤلاء المختفيات من يعثر عليها أو يعرف مكانها أبد الدهر . فليت شعرى ماذا يصيبهن وماذا يجرى به القضاء عليهن ؟ الا انما عندالله علمهن وهو وحده المطّلع على ماينالهن من عنت الحوادث ومضض الفوادح والكوارث . وان كان موظفو الملاجئ قد يعرفون أبناء بعضهم وأخريات منهن لدينا نحن الأطباء طرف من أخبارهن وضابط البوليس الذى يتولى فحص حوادث الانتحار عنده الخبر اليقين عن أخريات من أولئك البائسات — وفى ذمة الله ماغاب من أقمار تلك الوجوه الوضية . وما اذبلته لفحات الشقاء من هذه الأزاهير الغضة الندية !

ان من ديدن الفتيات جميعاً شدة الشغف بالتزين

والتجمل . وفرط الولوع بالتطرف والتدلل . فالفتاة لا تترك حيلة . ولا تدع وسيلة . الى اكتساب آلات الفتنة والخلابة والتحلي بكل صفة محببة جذابة . ولا عجب فليس بمستنكر على الغادة التى ترتعى روضة الحياة زاهيـة زاهرة . وتتنسم نفحات ريحانها عبقـة عاطرة . وقد ماس قدها عجباً تحت ظلال الشباب الضافية . وترنحت أعطافها طرباً على أغاريد طير الأماني الشادية الشاجية — أقول ليس بمستنكر على مثل هذه الفتاة أن تحصر عزمها . وتقصر همها . على جعـل نفسها مستقر الآمال، ومحط الرحال، وقرة العيون ، وأمنية كل هائم مفتون . فلا جرم إذا رأيتها تقـلد من يعاشرها ويجاورها من النساء فى أساليب التفنن فى استهواء الالباب واستمالة الرجال والشباب ، وهـذا الميل إلى تقليد الـكبار مركب فى غريزة الانسان يولد معـه ولا يلبث أن يظهر فى أوائل الطفولة ويتزايد حين يشب الوليد ويترعرع وهو سواء فى الذكر والأنثى . فترى الصبية الصغيرة تقلد أمها أو أختها الـكبرى بأن تحلي صـدرها برباط ورأسها بوردة

ولكنها لا تميز في تقليدها بين النافع والضار ، ولا بين الحسن والقبيح ، شأنها في ذلك شأن الغلام الصغير الذى يدخن ويقامر لأنه يظن ان عمله هذا يدخله فى زمرة الرجال ويدرجه فى سلك الأبطال ، بعد ان يرفعه فوق مستوى الولدان والأطفال ، والصغار من كلا الجنسين مولعين بالاستفهام والاستفسار لا يبرحون يتساءلون عن هذا وذاك وعن كل ما يرونه مما لا عهد لهم به يثير عجبهم وحيرتهم فلا يستريحون أو يعرفوا من أمر ذلك المجهول مايذهب حيرتهم ، ويشفى غلتهم ، والتساؤل والتقليد ملكتان ركبتا فى نفس الطفل ووظيفتان من وظائف ذهنه زودته بهما الطبيعة كأداتين لتعرف الأمور وتعلّم الأشياء :

ففى العهد الأول من حياة الصبي أو الصبية يكون الأب القدوة المثلى للصبي والمثل الأعلى للصبية ، وكلا الطفلين الذكر والأنثي — يريان فى الوالد أو الوالدة ينبوع العلم الذى لا ينفد وكنز المعارف الذى لا يفنى ، فالطفل اذا تشوف الى الوقوف على بعض ما يجهل فأول ما يفزع فى ذلك إلى

أبيه أو أمه ، فاذا بخلا عليه بالاجابة اضطر إلى رفع أمره لغير الوالدين من ذوى القربى والصداقة والجيرة ، ولاسيما لمن يخالطه ويزامله من اللذات والأتراب ، والخلان والأصحاب وعلى الأخص من كان أكبر منه سناً وأكثر حنكة وأوسع تجربة ، ولاخفاء انه مما يهم الأطفال معرفته منشأ المواليد الرضعاء اذ كان الأطفال عادة ولاسيما الصبيات شديدى الولوع والشغف بالرضيع الصغير حتى لترى الطفلة ربما تمنت أن يكون لها طفل صغير تلعب به كما تشتهى أن يكون لها لعبة أو عروس ومن ثم ترى صغار الصبيات يبدأن قبل استكمالهن السنة السادسة فى سؤال أمهاتهن عن منشأ المواليد ومن أين جاؤا : فالجواب المعتاد حينئذ هو أنهم صنع من البضائع التى توردها الدايات لمن يطلبها من العائلات أو انهم يوجدون عادة فى الغابات تحت أوراق الشجر ثم يحملون إلى الدور والمساكن بالمدن والقرى فى مناقير الحدأ والغربان فتلقيهم على السطوح ومن خلال النوافذ :

ولكن الصبية لا تلبث الا قليلا حتى تسمع من صويحباتها أو غيرهن ممن تصاف من الفتيات والنساء حديثاً آخر عن الأطفال وشرحاً مخالفاً لمنشأهم ومصدرهم فسرعان ماتذهب اذ ذاك الى أمها بالقصة الجديدة فتأخذ فى سردها لها كما سمعتها وعلى علاتها ثم تختم قصصها بسؤال الأم « هل هذا صحيح ؟ » فى هذه النقطة الحرجة من تاريخ الصبية يرتكب معظم الأمهات الغلطة التي يترتب عليها جانب عظيم من فساد تربية الابنة وشيء كثير من سيء العواقب فيما بعد ، اذ يكون جواب الأم عادة « لا ينبغى للبنات الصغيرات أن يتكلمن فى أمثال هذه الموضوعات أو يسألن عن أمثال هاتيك المسائل » أو « إياك أن تسمعيني مثل هذا الكلام القبيح بعد اليوم » وهذا الجواب يكون عادة مؤكداً بلطمة أو مؤيداً بلكزة أو لكمة ، فالنتيجة الطبيعية هو ان الصبية تحجم فعلا عن مفاتحة أمها فى ذلك الموضوع طول الدهر ، ولكن امتناعها هذا لا يفيد انها تكف البتة عن استقاء ماتصل اليه مجهوداتها من المعلومات

فى ذلك الصدد من مصادر خلاف أمها اذ الواقع ان سوء اجابة الأم يكون أعظم عامل فى تهييج ماجبل عليه الانسان من حب الاستكشاف وشهوة الاستطلاع فيظل للصبية باعث اغراء على الدخول مع صويحباتها فى الأحاديث المطولة والمحاورات المسهبة المفصلة . عن ذلك الموضوع وفيهن كما لا يخفى من هن أسنّ منها وأعرف بعلاقات الذكر بالأنثى . ولما كان أولئك الصويحبات اللواتى منهن تستقى معلوماتها قد كن اقتبسن تلك المعلومات بهذه الطريقة عينها فعلمهن بذلك الموضوع جدير ان يكون مشوهاً مغلطا وكل حديث يكثر تكراره خليق أن يناله من التشويه ماتنمحى من صورته الحقيقية وتنطمس بعده معالمه الاصلية حتى لا تكاد تعرف . وهكذا يحدث ان معظم البنات يأخذن معلوماتهن الأولية من علاقة الجنسين ومنشأ المواليد على صورة قبيحة مشوهة سوقية وقد اثبتت المباحث أن جانباً عظيما من البنات يتعلمن آفة الاستمناء قبل بلوغهن السادسة من العمر . إذ فى ذلك الأوان يتاح

لهن من أخواتهن أو أصحابهن الأسن منهن من يطلعهن على أسرار علاقة الجنسين ويفضى بهن إلى خفاياها ومكنوناتها . وقدجاءتنا فى خلال البضعة السنين الأخيرة مئات من الرسائل من بنات بجميع انحاء البلاد مؤيدة لهذه المسألة .

وقد ذكر مراقب اصلاحيــة النساء بمدينة برادفور فى بعض تقاريره مانصه . لقد اعترف لى كثير من البنات انه قد كان لهن فى صغرهن (أى فيما بين الثانيــة عشرة والرابعة عشرة) علاقات غـير شريفة مع صبيان أو شبان كنّ يصادفنهم فى طريقهن من البيت إلى المدرسة . ولامراء فى ان آباءهن قد كانوا عن ذلك فى غفـلة . فلما توافرت أسباب الاغراء والغواية بادراك أولئك الصبيات ودخولهن فى دور النساء هوّن عليهن الأمر انهن لم يلزمن خطة العفاف وانهن بشرفهن فابتذلن خدورهن وأذلن اعراضهن ثم كان بعد ذلك من سوء العاقبة ما كان . والصبية ذات الثانية عشرة قد تعلم ان ما تأتيه خطأ ولكن ليس لها من

العلم ما يبصرها سوء المآل .

ومعظم الآباء يثورون فى وجـه من ينبههم الى ان أبناءهم أو بناتهم جديرين أن يفكروا فى أمثال هذه المسائل ظناً منهم انه يستحيل أن تخطر لهم على بال . ولـكن البحث لا يلبث أن يسفر فى كثير من الحالات عن أمور جسيمة . وخطوب أليمـة ، وملاجئ البنات التى لا تنفك غاصة بضحايا الغواية شهود عدل على مبلغ ماهو سائد بين الأطفال من سيئ الأحوال ، وقبيح الفعال : على ان البنات اللاتي يسوقهن القدر إلى تلك الملاجئ لسن الا بضعة قليلة من جمـلة الغاويات فأما الباقيات فيذهبن عادة إلى أماكن سرية تعمل فيها عملية اسقاط الجنين وليس تخلو مدينة ما من أمثال هـذه الأماكن وهى يديرها أناس من الأشرار يزاولون سراً حرفة اسـقاط الحاملات فى السفاح على ان هؤلاء الجناة قد تعضل عليهن عملية الاستاط أحياناً فتصاب الفتاة المسكينة فى أيديهم بالموت أو غيره من الآفات والعاهات ، وحينئذ يصل الأمر الى علم الحـكومة فيعاقب

الجانى وتمنعه من مزاولة حرفته المشؤومة ولكن سرعان ما يخلفه فيها غيره من الطائفة

هذه واحدة لاغير من آفات السفاح المتفشية فى فتيات البلاد ، ولكن أفظع من هذه وأشنع ما يصيب البنات والنساء من الامراض الزهرية ، ولا ينكر أى طبيب ممن يعالجون أمراض النساء ان قد مرّت عليه أثناء عمله مئات من هذه الاصابات الفظيعة فيمن تولى علاجهن من صغار الفتيات أما نتائج هذه الأمراض فى الحديثات السن من البنات فنذكرها هنا بالاجمال : فنقول قد أثبت الفحص الطبي ان ٨٠ فى المائة من العمليات الجراحية التي تعمل للنساء ترجع أسبابها الى الامراض الزهرية ، وان معظم ما يكابده النساء من المعالجات الطبية الاليمة يعزى أيضاً الى عين ذلك السبب وان ٧٠ فى المائة من العمى الذى يصاب به بنو البشر فى كافة أنحاء الدنيا يرجع سببه الى ان أمة قد أصيبت فى وقت ما بأشنع أنواع هذه الأمراض، وان ٤٠ فى المائة من العقم المنتشر فى العالم يعزى أيضاً الى هذا السبب بعينه

ألا فانظروا أيها القراء الى البيوت المحرومة من الأطفال — زينة الحياة الدنيا ومتعة العيش وقرة العيون وقوت القلوب وشفاء غلة الأكباد — ثم انظروا الى الآباء والأمهات المتلهفين حسرة على أن يكون لهم غلام يؤنس وحشتهم ويزيل غمتهم ويسيغ غصتهم . ويكون لهم من صوت مناغاته الموسيقى الذى ليس بغيره تلتذ أسماعهم وتبتهج أفئدتهم ، وليس تغنى عنه نغمات اليراع والأوتار ، ولا شدوات البلابل فى الأسحار ، — ألا فانظر الى هذه الأسرات العقيمة ، والمأساة الأليمة ، — واذكروا أن كل ذلك ناشىء من تلك الأمراض الناتجة من عدم صيانة الفتيات

فماذا نحن صانعون إزاء هذه الحقائق المرة الرهيبة ، أو متخذون لعلاجها ؟. لاشك ان أحسن علاج وأنجع دواء هو التربية . — تربية البنين والبنات والآباء — ونحن لا نزال نرى أن الفتاة اذا زلت قدمها فسقطت ألقت المسؤولية كلها على أبويها وحقّ لها ذلك ثم لا تراها تكرر الا صيحة واحدة وهى « لِمَ لَمْ يُعلمنى أبواي هذه المسائل قبل أن ينفذ

السهم ؟ لِمَ لَم يعرفني أبواىَ ويفسّران لي من أسرار هذه المسائل ما كان يجب علىّ أن أعرف لأحترس من أخطارها ولأحذر شرورها ومضارها ؟ »

فالجواب على ذلك هو أن الأم نفسها تكاد تضارع ابنتها فى الجهل بهذه المسائل أو أن الحياء الكاذب أسكتها وحبس لسانها . أما الأب فنفض يده بتاتاً من القيام بتربية ابنته اعتقاداً منه أن هذا ليس من اختصاصه ولا يدخل فى دائرة واجباته وأعماله . انما هو من واجب الأم ووظيفتها. ولا خفاء فى أن معظم الأمهات والبنات جاهلات بنظام تركيب الأهم من أعضائهن وأجهزة أبدانهن . فهنّ فى المدارس يتعلمن كل شيء إلا الشيء الذى عليه مدار صحتهن وعافيتهن وسلامة أجسامهن وأعراضهن والذى هو قوام الأسر وعماد البيوت وأصل السعادة المنزلية وأساس النظامات المدنية والاجتماعية . فمن عجب أن هذا العلم المنسى فى المدارس المهمل فى المنازل أعنى علم الانسانية وأهم أركانه الفسيولوجيا وقانون الصحة وطب النساء يظل مما يتلقاه البنات فى الأزقة والحوارى

وعلى قارعات الطرق والسبل . فهل عجيب أن ترى البنات يتعثرن ويسقطن على جوانب الطرق ؛ ألا ترى الطفل اذا لم يحذر من أشواك الرياحين تهافت عليها افتتانا بجمالها فظل يقطفها وأنامله تتمزق وتدمى . وكذلك الفتاة الصغيرة لا تبصر من أخاديع الغرور الا زخارفها الجذابة وقد غاب عنها ما يكمن وراء هذه من الارزاء والبلايا

وقد آن وربك أن يتثور رجال الأمة فى وجه ذلك العدو المبين « الجهل » الذى يتهدد حياء بناتهم وسعادتهن وصفاء عيشهن وهن زوجات المستقبل وأمهاته . لقد آن أن يتسلحن بسلاح العلم ليدفعن به عن أنفسهن ذلة المرض ومحنة السقوط

ولا خلاف فى أن من أنجع الوسائل فى علاج هذا الداء العضال المبادرة بالزواج . فانه العصمة المنيعة والحصن الحصين من بوادر تلك الآفات التى تهدد كرم الأسرات وسرف البيوتات . وتسمم شرايين الحياة الاجتماعية . وتهدم قواعد المعيشة الطيبة الهنية . والزواج هو مفتاح السعادة

الخالصة التي لا تشوبها شائبة وهو السبيل المؤدية الى الثراء والغبطة والرخاء والى تقدم الشعوب ورقى الأمم واحرازها قصب السبق فى مضمار الحياة الشريفة . وبلوغها الغاية فى ميدان الفضل والأخلاق السامية المنيعة .



الفصل الحادى عشر

حقوق الزوج

من أهم حقوق الزوج أن يتولى تربية أولاده بنين وبنات بنفسه . فان من الخطأ الشائع ان هذه الوظيفة الخطيرة — وظيفة تربية الأولاد هى مما يسند الى الأم ويناط بها اذ يزعم الأب أن ذلك ليس من شأنه ولا مما تكلفه به النواميس الطبيعية والمشروعة محتجاً أن فى واجباته الأخرى من اكتساب الرزق واحراز القوت والنفقة على عياله ما يشغله عن تربية البنين التي هى أشبه بالأم وأليق ، وأشكل بطباعها وأوفق ، اذ كانت الأم باستعدادها الطبيعى وأخلاقها الغريزية أقدر من الرجل على معالجة الأطفال وأحذق معاملتهم وأكثر صبراً وجلداً على مشاق تربيتهم ومصاعب تأديبهم من الرجل . وانك ربما رأيت المرأة تستطيع أن تقضى الساعات الكثيرة الطويلة فى ملاطفة الطفل ومصانعته

والصبر على متاعبه ومضايقاته وشديد تكاليفه وعسير مطالبه وعنيف احكامه من الرجل أو لم تر الى الشاعر كيف وصف الطفل بقوله

ولا تحكما حكم الصبي فانه ... كثير على ظهر الطريق مجامله

وقصارى القول أنا لا نزال نرى الآباء يتنصلون جهدهم من واجب القيام على الأطفال ويتخلصون طاقتهم من مسؤولية تولى تربيتهم وتأديبهم بحجة أن الطبيعة والعرف لم تهيئانهم لتلك الوظيفة بل جعلاها من واجب الأم واختصاه هو بواجب السعى في اكتساب الرزق والنفقة على الأسرة وهذه حجة باطلة وبرهان داحض مدفوع لا يراد به الا المغالطة فى الحق والمخادعة عن تأدية الواجب فالحقيقة أن وظيفة تحصيل القوت والنفقة على العيال لا تمنع الوالد من القيام أيضاً بتربية الأولاد وتأديبهم ولا مشاحة فى أن تربية الأطفال ذكورًا واناثاً من أهم واجبات الأب وأقدس وظائفه ولا يجوز له بأى حال من الأحوال أن يتملص من هذا الواجب ويهرب من تلك الوظيفة فان ذلك

يعد جبناً شنيعاً وتوانياً ممقوتاً ونكولاً عن الواجب المقدس ونكوصاً عن الفرض المحتوم ويعتد عليه اثماً وجناية وفضيحة وخزياً وعاراً ووصمة لا يمحو سوادها احتجاج ولا اعتذار . ولا ينفي دنسها ووزرها توبة ولا استغفار

وقد أثبتت التجارب ان أسعد الصبيان حظاً وأيمنهم طالعاً هو ذلك الذى يتاح له من أبيه مؤدباً مهذباً ومسايراً مسامراً وصاحباً خليلا ومرشداً دليلا ورفيقاً جليساً وزميلا أنيسا فأخلق بمن أوتى مثل هذا الحظ الوافر أن يكون أبداً الى السداد موفقاً والى أوج السعادة ملحقاً فلا يمنى من أخدان السوء بما يزله عن جادة الحق ولا يصاب اخوان الشر بما يسحب عليه ألسنة الخلق ومثله جدير والله أن يوفق فى كل ما يتناوله من الاعمال الى سبيل النجاح ويرزق فى جميع ما يتولاه من الأمور غنيمة الفوز والفلاح وهو ايضا خليق أن يتعلم ماينبغى لمثله من أساليب معاملة السيدات والفتيات وما يندرج معها من آداب المعاشرة وواجبات المعاملة والمجاملة وحقوق المخالطة والمعايشة والمحاورة والمناقشة

وفرائض المزاملة والملابسة والمؤانسة والمجالسة وقصارى القول أن يصبح رجلا بكل معانى الكلمة

ولكن لسوء الحظ ليس كل طفل مصادفاً فى أبيه ذلك المربى المؤدب والمثقف المهذب ولا ملاقيا منه ذلك الولى الحميم الوفى الكريم والصديق الصدوق والرفيق الشفيق وليس أدل على ذلك مما لا نزال نراه ونسمع به من هرب الاولاد من بيوت آبائهم ـ ولما يتجاوزا بعد سن المراهقة ـ ثم انقطاع اخبار بعضهم من بعد ذلك وحرمان آبائهم رؤية وجوههم آخر الأبد والبعض الآخرون قد يعلمون آباءهم عنوان موطنهم الجديدة وآخرون يفارقون آباءهم ويهاجرون من أوطانهم ومساقط رؤسهم بناء على سابق اتفاق وتراض بينهم وبين أسراتهم ووالديهم ومع استراحة الطرفين للفراق وابتهاجهما به واستئناسهما له وهذا أقطع دليل وأنصع برهان على أن الجفاء كان مستحكما بين الولد ووالده وان اسباب الائتلاف كانت مصرومة وعرى الحب والوداد مبتوتة مجذومة ولو كان الأمر خلاف ذلك لما فرح كل من الطرفين

بالافتراق وهشا للتقاطع والابتعاد فهذه لعمرك آفة وبلية وضربة تجذم روابط الأسرة وتمزق أواصر القرابات والأرحام ولا ينجم عنها الا العقوق والفجور والفسوق وقلة التعاون وفقد التضافر والتضامن مما هو شر بلاء على تماسك أركان البناء الاجتماعي للامة واستحصاف أسبابه واستحصاد عقدته وويل كذلك ومصاب على النظام الأدبي والأخلاق الذى عليه مدار صلاح الأمة ورقي الدولة وفي اختلاله فساد الامر واستفاضة النكر والشر ودواعي السقوط وبواعث التقهقر والانحطاط . على أن هذه الكراهية والجفاء والنفرة التي تفرق بين الولد ووالده في سن الشباب أو المراهقة انما يرجع أصلها وأولها الى عهد الطفولة ففي ذلك العهد تبذر بذورها بما قد يحدث اذ ذاك بين الولد ووالده من سوء التفاهم فيسودّ ما بين الاثنين ويكفهر وييبس الثرى بينهما ويقشعر وتتصدع رابطة الابوة وآصرة البنوة فتنفجر بين الاب والابن هاوية من النفرة والجفاء لا تزال تنفسح على مدى الايام ثم لا تنسد البتة نغرتها ولا تلتئم ثامتها ولا تمد

عليها يد الاقدار جسراً من الصلة ولا قنطرة من العلاقة ما تعاقب الملوان واختلف الجديدان.

الالفة والاتصال بين الوالد وبنيه

أساس السعادة الزوجية

منذ يبدأ الطفل بالنطق ويتعلم الكلام تراه لا ينفك يسأل عن كل شئ وهذه سنة الطبيعة وطريقتها فى تعليم الآدمى معانى الحياة ومغازى الوجود ومحتويات الكون والعالم فاعلم حفظك الله أن لفظة « ما هذا » . و « لماذا » هى من أوائل ما يتعلمه الطفل من الكلمات فى هذه الدنيا فتراه اذا أبصر أو سمع مالم يفهم قال متسائلا « ما هذا ، »

واذا أمر أن يفعل شيئاً سأل « لماذا » واذا طلب اليه أن لا يفعل شيئاً قال « لماذا ، »

وهذه اللفظة « لماذا » ضرورية الطفل كضرورة الحياة والتنفس فانما بفضل الاستفهام والسؤال يستطيع أن يستفيد المعلومات والمعارف فيرقى فى درجات العلم والفهم والحكمة

وابوه بطبيعة الحال هو أول من يفزع اليه بالسؤال ويلجأ وهو القدوة المثلى امام عينه والمثل الأعلى فى هذه المسائل وينبوع المعلومات ومنجم المعارف فهو أول ما يفزع الى أبيه فاذا أجابه أبوه ولبى طلبه انتهى عنده فلم يتعده الى غيره فاذا ملّ الوالد من كثرة استفهام ولده وضجر من تتابع اسئلته فراوغه وهرب منه دفعا لما فى ذلك من المؤونة والمشقة اضطر الغلام الى ان يتجاوز ابيه الى غيره من الناس . ولا بأس عليه من ان يفعل ذلك ولا ضير ولا حرج اذا كان واجداً فى غير أبيه ممن يلجأ اليهم بسؤاله ناصحا أمينا وهادياً مرشداً شريف المقصد مأمون النصيحة صادق المشورة ولكن البلاء الأعظم والطامة الكبرى هو أن الذين تجدهم أسرع الناس الى اجابة أسئلة الصبي هم أقل خلق الله استعداداً لذلك . وأخسهم أهليـة وأنقصهم كفاءة وهم الثرثارون المهاذير الذين يكيلون القول جزافاً ويلقون الكلام على عواهنه بغير ما تحفظ ولا تقييد وأكثر ما يكون هؤلاء من الجبلة الأغبياء الذين لا يحجمون أن

يسترسلوا فيما لا يفقهون من المسائل ويخوضون فى عباب
ما لا يفهمون من الاغراض والشؤون وقد علم الناس طراً
العقلاء وذوى الفطنة والذكاء وأولي الألباب هم عادة أميل
الناس إلى الوقار والسكينة وألزمهم للسكوت والصمت
لأن هؤلاء يكون جلّ همهم فى إرسال ماأوتوا من القوي
الذهنية والملكات العقلية فى سبل الأعمال النافعة والتصرفات
المفيدة وتحويل مجهوداتهم فى طرق الكد والكدح بما
لا يدع عندهم مجالاً للمحاورات والمناقشات ولا يترك فى
أوقاتهم فراغاً للجدال والمباحثة أو للهذر والهراء والثرثرة
وهكذا يتفق ان الطفل إذا بدا يتساءل عن المسائل ذات
المساس بعلاقة الجنسين ـ الذكر والأنثى ـ انبرى اليه
بالاجابة عن هذه الأسئلة وباعطاء المعلومات فى مثل هذه
المسائل الخطيرة والموضوعات الجسيمة كل جاهل مأفون
من المتشردين الضائعين . وانزوى عنه كل عالم نحرير من
ذوى الفضل والعلم والجدارة وهكذا يبقى الطفل طول حياته
لا يصادف من رجال الآداب والأخلاق والفضل والتقوى

والمروءة ممن كان ينتظر منهم هدايتــه وارشاده . ويرجي على أيديهم صلاحه وسداده . إلا صمتاً وانزواء . وسكوتاً والتواء . وانصرافاً واعراضاً . وانحرافاً وانقباضاً بينما الغوغاء والطغام والحثالة والنغابة هم الذين أبداً يتبرعون إليه باهداء المعلومات والنصائح وكلها فاسد مشوه قبيح اذ كان صادرعن أمزجة فاسدة وأخلاق مشوهة وأرواح قبيحة فهل عجيب بعـد ذلك أن ترى الطفل يكوّن عن هـذه الموضوعات الجليلة والعلاقات المقدسة الشريفة أفكار ضالة وآراءمعوجة فاسدة ثم تزل به القــدم عن جادة الفضيلة إلى مهواة الاثم والمنـكر والرذيلة ؟

ثمرات الالفة والاتصال بين الوالد والولد

وحسن تأثير ذلك فى حياة الزوجية

الرجل يمتزج بابنه ويختلط ويتمكن بفضل ذلك من الدخول فى ثنايا حياة الابن وشعابها فيفضى إلى خفاياها ويسبر اغوارها ويقيس أعماقها ويطلع علي مكنونات صدره

وسرائر ضميره ثم لا يلبث أن يكافأ على مجهوده هذا بأحسن الثمرات وأجزل الفوائد وذلك هو ضمانه صيانة ابنـه من بوادر الرذيلة وحفظه من الوقوع فى اشراك الاغراء والغواية مثل هذا الرجـل يصبح عليما باهواء ابنه وشهواته وأوطاره ونزعاته . ومقاصـده وغاياته . وبضروب ألعابه وصنوف ملاهيه ويعود قديراً على مشاركة غلامه فى شعوره واحساسه ووجـدانه فيظل إذا جاراه فى مذاهبه ومسالـكه كأنه قد أصبح هو نفسه غلاماً مثله تتأجج فى روحه جذوة الشباب وتتلظى فى صـدره جمرة الصبا وتستيقظ من مخيلته أحلام الطفولة وترفرف أمانيها الطيبة الحسان . وفى ذلك من اللذة والمتاع ما يكل عنـه الوصف وينقطع دونه البيان ـ ذلك خلاف ما يجده الوالد من لذة الغارس الذى يظل يبصر بعينه ثمار ما غرست يداه ويشاهد زرعه وقد نجم من الثرى ونما وترعرع وزكت غصونه والتفت فروعـه ثم أورق وأزهر وأينع من بعد ذلك وأثمر . وما أزاهيره إلا المخايل الطيبة والشمايل الـكريمة وعناوين الفضل والنجابة وشواهد السحر

والخلابة . وما ثماره إلا محاسن الشيم والمزايا . ومكارم الأخلاق والسجايا .

فاذا فرط الوالد فى أمر غلامه فتخلى عن تولّى تربيته بنفسه بطول مصاحبته ومسايرته فانه يعرّض ذلك المنصب الجليل ـ منصب تربية الغلام لغيره من الأجانب ممن عساه لايستطيع توفية هذا المنصب حقه فيكون بذلك كالأمير الشرعىّ الذى يتخلى عن عرش الدولة لأجنبي مغتصب غير شرعى يسىء القيام على البلاد ويعيث فيها ويفسد فيصبح الوالد اذ ذاك بحال القائل

أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته

وكل من يسوس الملك يخلعه

وحينئذ ينبري للغلام أمرؤ من أشرار الناس فيأخذ بزمامه ويسوقه إلى سبل الغى والضلال ويرتعه مراتع الاثم والرذيلة ويورده مناهل المنكر والفجور . حينئذ يعرض للغلام أحد أقران السوء والغلام لايزال هش المكاسر لدن المعاطف فيتناول عوده الغض الرطيب بالتعويج بدل التقويم

وبالتشويه بدل التهذيب حتى يخرج من يديه معوجا ملتويا مقصوع النماء مكدى الشباب تنخبه الديدان وتنخر فيه السوس ولا خير فيه ولا ثمرة .

لاجدال فى ان كل صبي يجب أن يصير رجلا قوى الذهن ذكى الفهم وافر الحلم محنكا مدربا قادراً على خوض عباب الحياة والمزاحمة فى معترك الدنيا وحسن القيام بوظيفته فى عالم الأعمال والواجبات . غير ان الطفل فى ابان طفولته لا يستطيع التميز بين النافع والضار والغث والثمين ولا التفريق بين حسن القدوة وسوء الأسوة فهو لا يعرف متى يحسن به أن يقلد الكبار ويتشبه بهم ومتى يجب عليه أن لا يقلدهم اذ كان لم يبلغ بعد منزلة الحكم الصادق فى مسائل الدنيا وشؤون الحياة . وأنتم رعاكم الله تعرفون إن الانسان لا يستطيع قط أن يتولى منصب الحذق والمهارة فى أى فن أو صناعة ويسمى نفسه اخصائيا فى ذلك الباب أو ذاك إلا بعد امراره أعواما طوالا فى التمرّن والتدرب على ذلك الفن أو تلك الصناعة ـ دأبه ذاك حتى يتثقف فيها ويتضلع

ويتبحر فى أعماقها ويتخرج . واذ كان لا قدرة له على تعليم نفسه بنفسه فلا بد له من أساتذة يلقونه قواعد الفن وأصوله ويقفون على مخبآت الصناعة وأسرارها ومن عسى يكون هؤلاء الأساتذة - لا شك سيكونون من أساطين الفن وفطاحل الصناعة كما يكون قد استقى العلم من ينبوعه واستخرج الجوهر من معدنه والدرة من صهريجها فاذا كان هذا شأن الغلام فى الصناعات والفنون المختلفة فما بالك بأم الصناعات وجامعة الفنون الشاملة فى جوفها كل علم المحدق نطاقها بكل شئ - أعنى صناعة الحياة وعلم الرجولة ومهنة الانسانية أو بعبارة أخرى كيف يصير المرء انسانا صحيحا ورجلا كاملا . أجلا لابد للصبي من امضائه أعواما طوالا فى ورشه الحياة يتعلم أثناءها كيفية ادارة مكينة الدنيا ويطلع على أسرار تكوينها وتركيبها ويحيط علما بكل ما خفى من اوالها ودسرها وصماماتها : أو بعبارة أخرى يجب على الصبي أن يتتلمذ حقبة فى مدرسة الحياة على

استاذ محنك ضليع فى علوم الانسانية . وواجب أن يكون. هذا الاستاذ الوالد نفسه ومن حقوق الوالد أن يشغل هذا المنصب ويؤدى هذه الوظيفة ويكون ذلك الأستاذ

ولكن عناية الوالد ورعايته واهتمامه يجب أن لا تكون مقصورة على المذكورة من أولاده بل لا بد أن يكون للأناث منها نصيب وحظ مثل ما للذكور . ومن الخطأ المبين أن يحسب الوالد تربية الأنثى هى مما أوجبته الطبيعة على الأم دون الأب ومن ثم تراه يلقى بواجبات الأنثى من التربية والتهذيب على عاتق الزوجة وينفض يده البتة من ذلك . وهذا لعمرك من الضلال بمكان فان الأم أكثر ماتكون جاهلة بهذه الشؤون غافلة عما يهدد شرف البنات وأعراضهن من أسباب الغىّ ودواعى الاثم والرذيلة اذ كثيرا ماتكون الأم ممن قد نشأ فى غيابة البيوت والمقاصير محصنة من بوادر الغواية والفجور بأمنع أسوار من الصون والحجاب ولذلك تراها قد شبت علي تمام جهل بما يحدث

حواليها من حوادث الفسوق والدعارة والسقوط فأجدر بها والحالة هذه أن تكون أجهل الناس طراً بما يتهدد وحياة ابنتها من الشرور الفظيعة والأخطار المرهوبة الشنيعة .



الفصل الثاني عشر

الزواج

من أكبر معضلات الحياة التي يفتأ الناس يديرون فيه وجوه الرأى ويتحدثون بها فى الندى والسامرة. والمجلس والمسجد والسوق. مسألة الزواج. فهى اليوم مشغلة الانسانية الحاضرة وهى الموضوع «المودة» الذى لايزال يحاول كل انسان أن يصل إلى اختراع لون منه. واكتشاف هيئة ظريفة له. ولاتنسى الصحف. تعاوده من الحين إلى الحين. ولا تزال الكتب. تخرج عنه. وقد ادمجه الروائيون فى قصصهم واستخدمه فى فريق من السياسين الاجتماعيين. فى التدليل على الاضطراب الاجتماعى الواقع اليوم فى أكثر بلاد الحضارة

ان الوظيفة الطبيعية الأولى للزواج. والغرض الغريزي منه. هو بلا ريب الاحتفاظ بالنوع وبقاء الجنس. وعمران

الدنيا . ولكن الأدب العصرى يتنازع والعلم الحديث عند هذه النقطة من البحث . ومذ اليوم الذى افتتح فيه الروائى هنريك ايبسن بروايته الكوميدية « بيت العروسة » المناقشة فى مسائل الزواج ، والكتاب جارون فى الكلام عنه . والروائيون عاقدون عليه القصص : ومنشئون الفصول والأبواب ، وقد تضافر الجميع على ان للرجال وللنساء الحق فى أن يقيسوا الزواج بمقدار ما يجلب لهم ارتباطهم به من الهناء واللذة . وقد ذهب ايبسن الى أن الزوجة . التى ترى ان زوجها لا يستطيع أن يقدر عواطفها من ناحية اللذة . — ويشبع رغبتها فى الهناء ينبغى أن تغلق الباب فى وجه زوجها وأطفالها . وتحرر من هذا القيد الثقيل وتخرج من هذا الغل اللعين — وتلتمس لها عيشاً من وراء أي صناعة . وقد عمد روائى . اسكندناوى آخر من كبار روائى الانسانية الحاضرة إلى الدفاع عن الزوج من هذه الوجهة نفسها فجعل يقول ان الزواج يعطل رقى المزايا الرجولية فى الرجل وان المرأة تستعبده وتستأثر به.

وتضطره إلى كثير من النصيحات فى سبيل لذتها وهنائها ولا يزال الروائى العظيم برناردشو يقول بهـذا الرأى . وينمو فى البحث هذا النمو ، وقد أبدى كل ذلك في روايته المشهورة « الانسان والبرمان » وقد اعترف الشاعر رديارد كبلنغ بايثاره العزوبة على الزواج اذقال في أيام شبيبته الأولى يوم كان حدثاً غفلالم ينضج بعد « أشد السفر سرعة وايفاضا المسافر وحده ، غير متخذ رفيقاً »

فترى أيها القارئ ان أمثال ايبسن وستردنبرج وأولئك الطائفة التي تقول بهذه الآراء تراهم يمثلون الوجهة الأنانية من البحث ، وقد لا يبعد أن يكون في ما يقولون نصيب ضئيل من الحق

ونحن قد نظن اننا اذا استطعنا أن ننشئ في المجتمع الانسانى الحاضر طائفة كبيرة من وسائل التحصين ومقاومة قوى الطبيعـة الخشنة ، قد تمكننا من الفرار من قوانين الحياة فنحن نميل عند النظر الى اعتبار الواجب الأول في الزواج ، والقصد الأكبر منـه سعادة الزوجين وهناؤهما

الشخصى ، ونحن لا ننكر ان الزواج الانسانى فى أبدع أدواره ، مصدر لذة عظيمة نقية ممتعة ، ولكن الهناء ، انما يأتى بطريقة غير مباشرة ولا ينبغى أن يكون هو الغرض الأول المباشر ، لاننا اذا أعددنا سعادة الزوجين المقياس الأكبر لنجاح الزواج ، فكأنما وضعنا المركبة أمام الجواد لاالجواد امام المركبة ، وكأنما قد أغفلنا الغرض ، ولم نعتد الا بالواسطة ، واذا أخذنا بهذا المبدأ ، فثمت خطر كبير وبلاء أعظم ، وهو وقوفنا في منتصف الطريق الذى ارادتنا الطبيعة على أن نسير فيه حتى نبلغ نهايته وما كانت السعادة في الزواج الا أشبه شيء بسياج من أشجار الورد ومختلفات الأزاهر قد امتد على حفافى طريق الحياة ، ليرسل أنفاس الشذى والعطر ويثير الأريج الندى ، فيخفف من وعثاء السفر وشقة الطريق ، ولكن لا ينبغى أن نضل الطريق ونقف عند كل زهرة فنقتطفها وندفع الى كل وردة زاهية ننتزعها من شجرها ، وليست السعادة فى الزواج كذلك الا أشبه بالجزاء الطيب الذى يناله العامل الحاذق على

واجب شاق يؤديه وعمل مستصعب ينفذه ولكن فى سبيل بقاء النوع ينبغي أن تحتمل الآلام والمتاعب والنفقة فى سبيل ايجاد الزراري وانلم نصب هذا الجزاء الذى لقبه العامل الكادح . لأن السعادة ليست أمراً ضرورياً . ولا شأناً فى الحياة لازماً . وقد أثبت ذلك كثيرات من الأمهات الرؤوفات إذ ربين أطفالهن فأحسن تربيتهن على حين كانت معيشتهن الزوجية سيئة أليمة . ولم يكن ايبسن وستر ندبرج وأشياعهما على شىء من حسن النية اذ وضعوا الزواج قيوداً وحدوداً . فان تلك المبادئ الكلبية انما تقوم على حب اللذة . والرغبة عن واجبات الزوج ولكنها على الرغم من ذلك قد أعاننتنا على أن نرى هذه المسألة الاجتماعية الكبرى بنور اليقين ونستوضح بها الشبهات .

واذا نحن نظرنا إلى الزواج فى الانسانية الحاضرة لايسعنا إلا الاعتراف بأن الزواج العصرى مريض ضعيف لانجاح منه ولا اصلاح . فان عدد الأنانيين من الشباب والمحبين أنفسهم من الفتية وأطفال الانسانية الكبار الذين

ينعمون بالعزوبة ويرونها خير متاعاً من الزواج . ولا يزال أخـذاً فى الازدياد مريباً على عـدد الذين يؤدون أكبر الواجبات الانسانيـة المحتمة على الجنس فى سبيل بقائه . فان هؤلاء مناقصون كل يوم . مترون آخـذون فى القلة والاضمحلال .

هذه هى الحقيقة الواقعة فى العالم المتحضر كله فى هذه السنين الأخيرة فان الرفاهية وتـكاثر أنواع النعمة وازدياد ألوان الترف ، وحشد المصانع ، ألوفاً من ضروب البهجة واللذة قد أفسد على الانسانية عملها الأول وبث فى شباب العالم روح الأنانيـة اللئيمة القـذرة الثوار المستبدة وجاء الـكتاب الأدعياء والشعراء الأخساء ضعاف القـلوب والأبصار فراحوا يعلمون الناس ان الزواج يحول بين الرجل والمرأة وبين تنمية شخصيتهما وتهذيب قواهما السامية وآخرون أشد من هؤلاء كلبية وأنانيـة يقولون انه يحول بينهما وبين النجاح فى الحياة ولا يكون مآل ذلك إلا أن الفرد يصيب اللذة ولا يصيب المجموع إلا الفناء والانقراض

والفتى الحـديث يعلم انه مدين بوجوده فى الحياة لآبائه وأجداده ، ولـكنه من الأنانية وحب الذات بحيث لا يريد أن يحمـل مصباح الحياة فيمشى به إلى الأجيال القادمة كما حمله آباؤه من قبل :

ونحن قد رأينا خـلال صحائف التاريخ ان جملة من أكبر المدنيات التى ظهرت فى العالم تهدمت وذالت دولتها وبادت ، لأن العمل على بقاء النسل والاحتفاظ بالجنس ضعف فى قلوب أهلها وغلبت عليـه أميال أخرى وقهرته رغبات ونزعات متباينة ولم يقتل مدنية إلا غريق ، ويحطم حضارة الرومان الا قلة الزواج فى أخريات أيامها وولوع الناس من العاهل إلى أحقر رجـل فى الصفوف الرومانية بجميع الوسائل الحيوانية واشباع الشهوات وكثرة ألوان الرفاهية والترف :

وهذه النـكبة التى وقعت لتلك المدنيات القديمة تكاد تحف اليوم بحياة العالم المتحضر ولا تزال الانسانية سائرة فى الطريق التي سارت فيها اليونان وروما القـديمة ، فقد

جن جنون الناس رجالا ونساء اليوم بحب المال ، والتهالك على كسبه والتنعم بلذته ، وايجاد ألوف من وسائل الترف واللذاذات حتي أصبح سواد شباب الانسانيـة يؤثرون العيش في ظلال العزوبة طول حياتهم وترى كبار الشعراء والروائيين يمجدون الحب الذيؤول الى الزواج و بتمجيدهم الزواج من ناحية العاطفـة انما يتفقون والمفـكرين والعلماء الذين ينادون الناس اليه من ناحية الغريزة وبقاء النوع لان هؤلاء يرون ان الفرد يجب أن يخضع لمطالب المجموع ولو درسنا الزواج من الناحيـة العلمية لم نجده ضرراً للانسانية أو أذى ، وليس فيه ما يحول بين الفرد وتنمية قواه وذاتيته وليس عائقاً دون النجاح فى الحياة لان الوفا من المتزوجين استمدوا من الزواج ومطالب الأسرة والعناية بالبنين وتربية الأطفال قوة كبرى وكدحاً أعظم ، وانك لترى الذئب الوحـد أشد الوحوش شدة وحولا اذا عضه الجوع بنابه ولـكنك ترى كذلك الذئب ذا الجراء والصغار يطلب غـذاء لهم أشد منـه وحشية اذا استنفره الجوع ، وتلك

حال الناس حـذوك مثلا بمثل فهم أشد كدحاً واداب على العمل وأجلد على العناء اذا كانوا يعملون لأنفسهم وأطفال لهم وزوجات فى ذمتهم منهم اذا كانوا طليقين اعزابا منفردين بذاتهم :

ولم تقـل الطبيعة بأنه لابد لارتباط الجنسين المرأة والرجل والذكر والأنثى من وجود مصـدر لذة كبرى للأبوين بل أرادت أن تـكون الغاية من انشاء الذرية اسمى من ذلك وأعظم بل فى كثـير من طبقات الحيوانات الدنيا نرى الطبيعة تضحى لأب أو لأم فى سبيل الطفل ولبقاء النوع . فان الحشرة المسماة دودة القز لا تلبث أن تموت إذ توشك أن تضع أفراخها وتترك عنـد موتها عطاء جمعها ليـكون غلافاً وافياً لنسلها . ومن هذا ندرك أنه اذا كانت مصلحة النوع تتوقف على مصلحـة الفرد من ناحيتـه . لا تزال مصلحة النوع تتطلب من الوجهـة الأخرى بعض التضحية من الفرد على أن النصيب الأكبر من المتاعب فى عالم الحيوانات الدنيا لا يزال واقعاً على الصغار وهذه تبيد

فى أغلب الأحيان ألوفاً ألوفاً . فان الحوت قد ينتج أكثر من مليون بويضة ولكن لا يعيش من هذا المقدار العظيم الا الألف أو أقل من ذلك قدراً . وقد أرادت الطبيعة أن يكون أكثر طبقات الحيوانات الدنيا أشد حناناً على صغارها من فريق كبير من أهل المدنية الذين يعتزون بأنهم أصابوا المكانة العليا على الحيوان الأعجم فان عدد اللقطاء الذين يلقون علي قوارع الطرق من وراء الارتباط الأثيم ، واغراء العذارى الغفل وخديعة النساء المتزوجات لا يزال معرة الانسانية كلها . ومن أقسى الحقائق التى اهتدى اليها الاحصائيون ان مواليد الأطفال المزنيين غير الشرعيين أقل فى الأقاليم الجاهلة التى سادت فيها الأمية . وفشى الجهل وضعف مستوى الحضارة عنها فى البلاد المتناهية فى المدنية التى أدركت أوج التهذيب



الفصل الثالث عشر

أى أصناف الجمال الرجالى

أحب الي النساء ؟

بحث بسيكولوجي

فتاوى طائفة من مشهورات النساء فى موضوع من أهم ما تعني به النساء . وهو — أيّ الوجوه أحب الى النساء ؟ الوجوه الدالة على القوة البدنية — أم الذكاء الحاد — أم الروح الخيالية ؟ وأىّ هذه الثلاثة تختارين أن يكون رفيقك فى الحياة ؟ ولماذا ؟ وقد عرضت احدى المجلات الغربية الوارد فيها هذا المقال صور اثنى عشر رجلا مختلفى الصيغة الجمالية ولكن كلهم كان فى حياته مشهوراً بالجمال ، وطلب الى السيدات المذكورات أن تختار كل واحدة منهنّ صورة من هذه الصور باعتبار أنها أجمل الجميع فى نظرها »

«١» رأي البارونيس أوركازى

ان موضوع الجمال فى الذكور موضوع عويص معضل، لأن جمال الرجال أمر يتوقف على أشياء كثيرة خلاف الوجه . وانى لأسأل القارئة الكريمة قبل كل شيء ما هى العناصر التى منها يتكون جمال الرجل ؟ هل هى حسن أعضاء الوجه وانتظامها وتناسبها ؟ كلا ان هذا وحده لا يكاد يكون الجمال المستملح فى الرجال . فان الوجوه التى هذا شأنها تكون فى الغالب خالية من معاني القوة والمتانة والمضاء والصرامة وعلى العكس من ذلك ترى أن الاجسام البادنة المكتنزة بالعضل المجدول والعصب المتين خالية من بريق الذكاء المتوقد فى العينين ، ثم ترى فى أقفائها العريضة المسطحة دليلا على كثافة الذهن وانحطاط القوى العقلية . ثم من وجهة أخرى نرى أن الوجوه الناطقة بالمزايا الذهنية أو الفنية تكون غالبا مصحوبة بضعف البدن ووهن أنسجته وبنوع من معانى التأنث فى الهيئه والشكل مما لا يستهوى الفريق

الأكبر من النساء

وعندك أيضا الوجه القوى — وهو ذو الأعضاء الخشنه الحادة والعينين العميقتين والفك المتين المربع — فهذا ولا شك جذاب جداً ، ولكنه لا يكون البته مستنيرا ببهجة البشاشه ورونق الطلاقه أو مزدانا بوميض حلاوة الظرف والفكاهه التي هى سرّ الجمال فى الرجال وشرطه الأساس وأهم أركانه

وان قد عرفت ذلك فاطلب هذه المزيه الكبرى فى وجوه الرجال ابحث من أسارير البشاشه وسطور الابتهاج حول شفاء الرجال ابحث عن بريق الجدل ووميض الظرف والفكاهه فى أعينهم — فأينما وجدت ذلك فتشبث بصاحبه واعلم أنك قد ظفرت منه بما هو خير لك وأفضل من أدونيز (١) أو هرقل (٢)

(١) معشوق «فيناس» اى الزهرة الهة الجمال والحب عند اليونان القدماء (٢) ابن جوبيتار — والكيمينا — وهو من أشهر أبطال العصور العتيقة — مشهور بالبأس والقوة

انى أرى بين الاثنى عشر رجـلا المختارين صديق صباى المشوق ورفيق شبابي الموموق اللوردتيتون ، وانى لاأتردد لحظة في تمييزه من الباقين باختيارى ، وافرادهمن بينهم بايثارى ، فلقد كان وجهه عنوان شخصيته الساحرة وصفاته الباهرة . إذ كان عليه سيما الفحوليةوالقوة خالياً من أدنى ظـل للعنف والقسوة ، وسيما النبوغ الفني خالياً من أدنى معانى الأنوثة والضعف ، ودلائل الملـكات الذهنية الباهرة خالياً من أدني شواهد الغرور والزهو ، وقد كان مع كل هـذا مكللا بأجمل المزايا البشرية — مزية الطلاقة والبشاشة ورقة الظرف وحـلاوة الفكاهة ، واحسرتاه لقد عاش ومات أعزب

رأى المسزايليس جفريز

لاأدعى الخـبرة بعلم الفراسـة بأية حال، ولذلك فاني أستصعب ماأسند إلى من هذه المهمة ، وإنى لأسأل القارئ أيصح لامرأة أن تجعل جمال المنظر وحده اساساً لاختيار

رفيقها في الحياة ؟ أما انها لو فعلت لكان أقل مافى الأمر أنها تعرّض نفسها لخطر جسيم فلقد جاء فى قديم الأمثال (انما الجمال جمال الفعال) وإني لأري الاثنى عشر رجلا المختارين ههنا قدأتوا من الفعال الجليل والجميل وأتوا كذلك القبيح والدنىء ،

ان القوة البدنية لمن الفضائل المحمودة ، والمحاسن المحسودة ، كما ان الذهن المولع بالمخاطرات والمجازفات ، البعيد الطمحات ، المتوقد الحركات لهو من أشرف المزايا وأجل الصفات ، ومن أجل ذلك كان موضع اختيارى ومحل ايثارى هو اللورد كتشنر وانى فى اختيارى هذا مدفوعة بفرط اعجابى بالرجل وعظائم فعاله وبدافع أشد من ذلك وأعظمَ وهو ما يبدو على وجهه من أمارات الرقة والعطف والبرّ والمروءة — كافةعناصر الانسانية — وهو عكس ماينسب اليه من الجمود والجفاء والعبوس والصمت وفقدان العاطفة وقلة المؤاساة للغير ، هذا لاينافي ماقد يبدو بعينه أحيانا من النظرات القارّة القارسة ، النافذةالقارصة ، عند مقتضيات

الأحوال ، ولكني اذا نظرت في الصورة المعروضة خيّل اليّ أن عين الرجل تُلين وتسْجو وتخلع عنها نظرة البأس والقسوة عند ما يخلع الرجل لباس الجد والوقار والأعمال الرسمية ويمتزج بالناس امتزاج العشرة والوداد والألفة :

هذا واني أرى ذلك الشارب لا يخفى ما تحته من معانى الظرف والإستئناس والبشاشة المتألفة حول الفم التي هى فى نظرى من أفتن محاسن ذلك الوجه القبيل ، وان صورة اللورد كتشنر التى تجلوه على أبصارنا مبتسما لا تزال فى رأيى أحسن عنوان على طيب النفس ورقة الظرف الحقيقية ، وما تبتغى النساء بعد ذلك ؟ دهنٌ وقاد وخلقٌ رائع سما الي أوج العلا وبلغ غاية الفخار بالفتح المبين وباهر الانتصار :

رأي المسز س ن وليمسون

إن غرائزنا الفطرية نحن السيدات — وطبائعنا الوراثية تدفعنا من حيث لا نفهم ولا نشعر الى اختيار الصنف الحربى من الرجال ، فنحن نركن الى هؤلاء لأننا طالما ركنا اليهم ،

واعتمدنا عليهم ! ألم يكونوا ملاذنا وعصمتنا يوم كانوا يدفعون عنا غوائل المردة والشياطين والغيلان والسعالى والتنانين [1] ومن عصائب لصوص الهمجيين من الشعوب الوحشية والقبائل البربرية — افات العصور الماضية وبلايا الحقب الخالية ؟ ولكن رأيي بالرغم من ذلك أن نموذج الجمال الرجالي هو ما جمع بين البدن الضليع والذكاء السريع والخيال البديع :

وان أقرب الناس في نظري من هذا النموذج الكامل هو اللورد كتشنر ، فلقد كان ذاخيال بديع وخلق غريب مفرد فذّ منقطع القرين بدليل أنه لم يجد قط في جماعات النساء من هي كفؤلة فى غرابة الخلق والزوج حتى يتخذها قرينة ورفيقة أضعف الى ذلك أن حياته كلها كانت سلسلة مخاطرات هائلة ولقد امتاز بالنظر في لغات سكان القفار والصحارى وفى صفحات قلوبهم وألواح ضمائرهم وكلنا يعلم

---

(١) جمع تنين : وهو الحية العظيمة . هذه مخلوقات وهمية وردت فى خرافات الاقدمين

أى شجاع باسل كان اللورد ويطل مقدام

رأي توره سكليجل

المصورة المشهورة

ان من أصعب الأمور أن تختار المرأة رفيق حياتها باعتبار جمال المنظر لاغير ، على أن من رأيي ومذهبي فى هذا الصدد اجتناب الشعراء لخلوهم من عنصر المزاح والفكاهة والمراح وتغلب الحزن والكآبة على نفوسهم ، والحق يقال ان الضحك أحسن المزايا البشرية ! وأعظم مسهل لمصاعب الحياة وأنفع علاج لآلامها وأنجع ترياق لسمومها ، هـذا وان أطيب عشير وأمتع سمير ، وأفكه جليس ، وأطرب أنيس هو المفراح الجذل الضحوك فالضحك مطر الحياة ونسيمها ونورها ، وانى لأبصره فى عين « كيرلى بيلو » و « سيدنى بارمكاو »

رأى المسز بيلى رينولدز

ما أظن أن امرأة من المتعلمات المستنيرات فى هذا العصر تختار رفيقها فى الحياة لسواد عينيه . أو حمرة وجنتيه وان كان جمال المنظر يدخل ولا شك ضمن العوامل الباعثة على الاختيار . هذا وانى أستنكر فى الصور المعروضة ههنا معنى مشترك فى الجميع الا اثنين أو ثلاثا — ذلك المعنى هو شعور كل شخص من هؤلاء الاشخاص بأنه حسن مليح — هو اعتداد كل منهم بمحاسنه . وتيهه وخيلائه بملاحاته ومفاتنه (ومما شاهدت من أخلاق البشر ان الرجل الجميل أشد شعوراً بجماله وأكثر احتيالا بحسنه من المرأة الجميلة) فهذا الزهو بالملاحة والحسن هو مالا يحتمل ولا يطاق من الرجل)

وانى اذا تأملت هؤلاء الرجال المعروضة صورهم وجدت ان الرجل الوحيد الخالى من هذا العيب هو اللورد كتشنر — وان كنت أشك فى صواب ادخاله فى زمرة من،

يستحقون صفة الجمال البارع . وعلى كل حال فلقد كان الرجل بريئاً من وصمة « اتخاذ الجمال حرفة وصناعة » وكان عليه سيما الرجل الخليق أن يأتى من الأمور ما يفيد وينفع .

رأى المسز وينفريد جراهام

انى أخص باختيارى « كرلى بيلو » بشرط أن يحلق شعره فان له وجها كوجوه كبار المصلحين — لعله ورثه عن أبيه الذى كان من مشاهير الوعاظ وخطباء الكنيسة . وانى لأرى فى عينى الصورة آية السحر والفتنة ودليل الاخلاص والوفاء كما أن الذقن تدل على قوة العزم والمضاء . وان كان لا يظهر به تلك النقرة أو النون (ما يسميه العامة طابع الحسن) التى كانت احدى مزاياه المعروفة . هذا وان الأنف الدقيق المستوى المخدد والذقن القوى الدال على مضاء العزيمة يوازنان بل يرجحان بما يكسو سائر الوجه من رقة جمال الأنوثة . وفى هذا الوجه أيضاً تعرف سيما الخيال والشعر بينما الجبين يشبه جبين بيرون (الشاعر المشهور) وهذا ما

أشار اليه صاحب الوجه فى كثير من الأحايين . أماالعنق فيدل على القوه البدنية . وأما شكل الحاجبين وانفراج ما بينهما فدليل على دماثة الطبع وحلاوة الشمائل والرغبة فى فعل الخير

رأى المسزكلار شريران

البحاثة الشهيرة

ان أبدع المعروض من هذه الصور في رأيي ومذهبي هي صوره شيلي (الشاعرالمشهور) . ولعلي أكون فىذلك محابية لأني ما زلت طول حياتى منغمسة فى شيلى (أى فى أشعاره ومؤلفاته وما كتب عنه من السير والتراجم) ولقد عشت فى مصيفه بايطاليا والتهمت كل ما ورثه العالم من كتاباته وآثار شخصيته وروايات سيرته . عليه رحمة اللهلقد كان ذا شخصية رائعة باهرة هائلة . ولو كان اليوم عائشاً لغرد أغاريده ، وشدا أناشيده ، احتفالا بانتصار المرأة فى ميدان الحياة ، ولوددت والله أنى كنت زوجة شيلى لأنى

كنت أفهمه لامحالة وأدرك حقيقة أمره ، وأستجلى غامض كنهه وسره

أما بيرون فاني أتنصل عنه ، وأنفض يدى منه ، فأجمل من وجهه وجه « روبيرت بروك » وأمتن من خلقه خلق « تيتش »

أما باقى الأشخاص المعروضة فما أرانى بمنزلة القادرة على الحكم عليهم وابداء الرأى عنهم وذلك لقلة ما أعرفه من شؤون حياتهم وتفاصيل أحوالهم ودقائق صفاتهم وخلالهم ورأيى أن الجمال لا ينحصر فى أنف ولا عين ولا فم ولا ذقن ولا جبين ولكن فيما وراء ذلك ، وانى لا أضن بالاستحسان والثناء على متانة بنيه العوّام الشهير الكابتن « وب » والملاكم الشهير « كوربيث » ولكن أرى وجهيهما عاديين خاليين من أدنى معانى الفتنه والسحر والغرابه . فهما لا يمتازان عما لا نزال نبصر كل ساعه فى غدواتنا وروحاتنا من الآلاف المؤلفه من وجوه جماهير العامه . فالكابتن وب هو أشبه الناس برجال طائفة المعمار ، وكان الأليق به أن

يحمل القادوم والمطمار[١]

رأي هتر يتارا

المصورة المشهورة

لاأتردد فى اختيار اللوردليتون . فان هذا من الأمور البديهة التى لا جدال فيها من وجهة اعتبار من كان مثلى يتعاطى حرفة التصوير . أقول انى أختاره دون الباقين وإن صورته المعروضة ههنا تمثله وهو فى دور شيخوخته وهرمه قبل وفاته بقليل . ولكنى عرفته فى نضرة شبابه وزهرة صباه وخالطته سنين عدة فوجدت ان الجمال الذهنى المشرق فى صحيفة وجهه يشف عن روائع شيمه الباهرة وغرائب خلقه الساحرة وعجائب ملكاته النادرة جما لا ينكره ممن رآه إنسان ولا يختلف فيه ممن عرفه اثنان

رأى المسزماى ارجنتون

إنى لا أعلم بيقين أى أصناف الجمال الرجالى هو أجذب

---

(١) المطار والمطمر خيط البناء يقدر به

للمرأة — المرأة العادية — وأخلب . فإنها ان لم توفق إلى الرجل الجامع لجملة المحاسن البشرية بين بدنية وذهنية وعاطفية فانها لتفضل فى صميم قلبها وإن حاولت كتمان ذلك مداراة ومواراات بباعث الاستحياء والترفع انها لتفضل الوجه الدال على القوة البدنية والبنية الحديدية . ذلك لأن الرجل ذا القوة البدنية العظيمة خليق دائماً أبداً أن يدخل على حياة المرأة شيئاً كثيراً من دواعى الأنس والمزاح والطرب وبواعث اللذة واللهو والشهوة . أما الرجل ذو الذهن الوقاد والذكاء الحاد فخليق أن يكون له من الأناة والتؤدة وفرط الوقار والرزانة وطول التدبر والتأمل والاطراف والروية والتفرس فى حركات الناس وتصرفاتهم والتفتيش عن سرائرهم والخوض بنظراته الكشافة فى أغوار ضمائرهم . وتشريح نفوسهم وأرواحهم على منصة بحثه بمبضع ذهنه المرهف المشحوذ كما يشرح الجراح الحاذق الجثة — يكون له من كل ذلك ما يفسد بينه وبين المرأة صلات التآلف والامتزاج التي يجب أن يكون سداها الضحك والمزاح

ولحمتها التساهل والتغافل ـ فلا غرو إذا بدت عنه وأعرضت ونفرت لأنه يخيفها ويفزعها ويملأ قلبها هيبة ووحشة ولا نجـد فى جوه ذلك الاشراق والصفاء والدفء التى ليس إلا بها تتفتح زهرة قلبها وتينع ثمار عواطفها فنصيحتى الى المرأة أن تلتقط رجـلا شديد قوة البدن ثم تنفس فيه من ينبوع عواطفها نفثة من روح الأمانى العجيبة والخيالات الغريبة ـ من الروح الروائية الخرافيـة ـ فستجدين فيـه اذ ذاك النموذج الـكامل والمثل الأعلى . فاذا ألقيت بعد ذلك نقصاً فى ذكائه وقصوراً فى فطنته فلا يسوءك ذلك فانه لو كان غير ذلك لأحاط علماً بظاهرك وباطنك وليس هذا مما يسرك . واذا وجدته ساذجاً بسيطا فاحمدى حسن حظك وسعد طالعك ودعيه يبقى كذلك . أما من وجهة رأيي من الصور المعروضة ههنا فان أجذبها عنـدى وأخلبها صورة (كوريت) الملاكم

رأى المسز بيلوك لونزيز

إن الفريق الأكبر من النساء يفضل ولا شك بالفطرة والغريزة الرجل القوى البدن المتين ـ سواء كان جميل الطلعة أو عاديها . وكذلك معظم الرجال ـ بل كل الرجال ماعدا الفئة النادرة الشاذة ـ يفضلون المرأة المؤنثة أعنى اللينة الناعمة الرقيقة الغريزة ولا نزاع فى أن القوة الخفية المسماة الفتنة النسائية أعني العين الساحرة ذات اللحظ الخلاب أو كما يسميها فريق الشعراء العين الداعية الى الصبابة الآمرة بالولوع والاستهامة ـ لا شك ان هذه من أقوى العوامل فى اختيار الرفيق ـ وأشد البواعث على اصطفاء العشيق . ولكنها من المزايا النادرة جدا سواء فى الرجال والنساء وقلما يكون فيها ضمان السعادة الدائمة أو الوفاء والأمانة فى الحياة الزوجية . لاأشك فى أن الرجال والنساء جميعاً يخضعون لسلطان الحسن والملاحة ومن ثم كان ذلك النجاح الباهر الذى يظفر به بعض ذوى المحاسن

الباهرة من الممثلين والممثلات ولكنى أشك فى أن هؤلاء المثلات والممثلين يستطيعون استبقاء هذه المزية النادرة فى غضون حياتهم المنزلية .

ان من النساء لفريقاً يستهويه الصيت والشهرة فى الرجال . فأمثال هؤلاء النساء لا تحجم احداهن عن الاقتران بالرجل القبيح الصورة السيء الخلق الشاذ الطباع بشرط أن يكون شاعراً مذكوراً أو فارساً مشهوراً . وأعجب من هذا وأغرب أنها تعيش معه سعيدة : اذا كنت لابد مختارة واحداً من بين هؤلاء الرجال المعروضة هنا صورهم فانى أختار اللورد كتشنر ،



الفصل الرابع عشر

المرأة في الوجود

بقلم السيدة الأديبة والشاعرة الشهيرة

المدموازيل انجل

المرأة لعبة ولكنهالعبة حية، المرأةوردة ولكنها وردة، حساسة، المرأة جسم يأ كل ويشرب وينام ويقوم ويلبس ولكنه جسم متفكر مقارن مستنتج . فهى انسان مثلكم هل هذا الاستنتاج صحيح ؟ لنبحث . هل الرجل لعبة حية

قد تقولون ما هذا السؤال وما أغربه . ولكن مهلا فقد يلزمنا لمعرفة ذلك أن نعرف ما هى اللعبة وماهى الحياة

أما اللعبة فهى تركيب يتحرك بعامل داخلى أو خارجى أم داخلى وخارجى معاً . والحياة هى هذه الحركة نفسها اذا كانت تؤثر على التركيب بنموتدريجى وانتشار يبتدىءمن

المهد فيستمر متزايداً الى أن يبلغ الانكماش وينتهي باللحد . فالرجل تركيب وان كان لا يبارى بدقته وعجب صنعه ويفوق كل تركيب بشرى بقدر ما يفوق مركبه عز وجل وهو تركيب يتحرك بالعاملين الخارجي والداخلي

أما عامله الداخلي فالقوة المكنونة المتولدة من حكيم صنعه السارية عن قلبه وعقله الى مفاصله وعروقه المشابهة قوة الساعة بأنها ظاهرة المفعول سرية المبدأ

وأما عامله الخارجي فما يتناوله . أو ينتابه من العوارض كأن يربط بحبل مثلا ويحرك على حسب أهوى رابطه أو يكون سائراً فى طريق فتصدمه عربة تميله أو تلقيه على الأرض ، أو يدخل معتركا أو مزدحماً فيموج مع تماوج أفراده ، أو يكون راقداً فيجذبه مهزار من رجليه ويجره حتى يوقعه وهلم جرا

وأما أنه تركيب حي فذلك لأن الحركة التي فيه توجب نموه أكثر فأكثر وانكماشه أكثر فأكثر حتى يأتى على آخر الطريق الذى رسمه له من بيده مجرى الأمور ومنه

الصادر واليه الراجع

فالرجل إذن لعبة حية ولكن هل هو وردة حساسة ؟

كلنا يعلم ما هي الوردة فقد لامستها أيدينا واستنشقت أنوفنا عبيرها ووضعناها نحن في شعورنا وعلى صدورنا. وأنتم في عروة ملابسكم ودعوناها جميعاً بسلطانة الزهور وريحانة النفوس اعجابا منا بزهو وريقاتها البديعة الألوان، واعترافا بشذاها المنعش الأفكار والجنان وهي إما تتألق وتزهو وتنشر أريجها في فسيح الجنائن وفوق أخضر المروج وإما أنها ترفل في حلل بهائها في قاعات الاستقبال وخدور ذوات الخصور والقدود وسواء كانت في السر أو كانت ظاهرة للعيان تتجه نحوها الأنظار طامحة ويشار اليها بالبنان

والاحساس ما هو ؟

الاحساس هو الشعور •تي رشيء على أجزاء التركيب فنبضت له عروق الأجزاء قيل بأنها شعرت به أو أحست به ويستلزم هذا الشعور أو الاحساس إما انقباضا اذا كان مؤلما وإما انبساطاً اذا كان ساراً على أن عامل الاحساس كله

خارجي فان لم ينتب الحواس شيء لم ينبض له عرق

أفليس أن الرجل سلطان الخليقة وزينتها ، كما أن الوردة سلطانة الزهور وبهجتها ؟ أو ليس هو قد يزهو في معترك الحياة كما تزهو الوردة في ناضر الغياض ؟ وقد يتأرج في سر البيوت كما تتأرج الوردة في سر الخدور ، أليس أن كليهما يفتحان أبواب قلوبهما اذا مرّ فوقهما النسيم العليل ويذبلان وتتساقط وريقاتهما اذا هبت في وجههما ريح السموم ، فالرجل إذن الى هذا الحد وردة حساسة ، ولكن هل هو جسم متفكر مقارن مستنتج

كلكم تصرخون هنا ان لم يكن الرجل هو الجسم المتفكر المقارن المستنتج ، أفيكون الحجر ذلك الجسم ؟

أما الجسم فهو على حسب تعريفه الهندسي ماشغل جانبا من الفضاء كهذا الكرسي مثلا وذلك المصباح

أما المتفكر فهو الذى اذا مرّ شيء على أجزاء تركيبه الخارجية ونبضت له عروق هذه الأجزاء ارتجت لذلك النبض عروق الدماغ وهيجت في مكنون الرأس انفعالا خفيا يدعى

فكراً ، وأما المقارن وهو الذى اذا هاجت فيه الافكار يتمكن بقوة جديدة من تجزئتها وتحليلها ودرسها واحداً فواحداً ووضع حبال بينها تربطها بعضا ببعض حافظا لكل فكر مميزه ومازجا هذه المميزات معاً ليتسنى له أن يحكم فيما بينهما

فاذا حكم كان حكمه استنتاجا

واذ علمنا أن ما وصفنا به المرأة ينطبق على الرجل يجب علينا قبل أن نتقدم أن نرى هل هو ينطبق أيضا على المرأة كى لا نكون كمن يقبل الأقوال مسلمة الثبوت دون ان يحضرها أمام منبر الامعان ويمحصها ويسبر غورها فاذا ثبت لنا انها تنطبق نعود فنبحث الى أى حد يبلغ هذا الانطباق والتطبيق فى الاثنين معاً الرجل والمرأة كى لا يظن أننا نلعب بالكلام أو نقصد به من المزاح غريبه ومن الهذار عجيبه

فهل المرأة لعبة حية ، ما أكثر ما ورد فيها مثل هذا التعريف والوصف فى كتب الأقدمين الحديثيين ولكنهم

لم يقصدوا به ما قصدنا بل إنما اتخذوه كضرب من الاستعارة يريدون به الحط من شأن المرأة والتعبير عن تقلب أحوالها عجاز عجزها عن الرجل ولذلك فانهم وإن عرفوها باللعبة إلا أنهم لم يخصوها بالحياة كأن الحركة فيها غير متبوعة بنمو ونشأة أو كأن عامل الحركة فيها غير عامل الحركة فى الرجل .

هل المرأة وردة حساسة ؟

لا أظن مؤلفاً خلت تآليفه من مثل هذا الوصف الجميل ولا إخال شاعراً لم ينظم لؤلؤته فى قلائد قصائده بل قد اختصت المرأة دون الرجل وبمثل هذا التعريف فى معظم ما كتبه الأعاظم وكفانا شاهداً بالبيت الدائر على الألسنة .

ان النساء رياحين خلقن لنا وكلنا يشتهى شم الرياحين

على انه وان كان التعريف هنا مجازياً محضاً الا اننا سنرى فيما يلى عند ما نترك السطح وندخل الى العمق كيف انه يعبر عن المرأة التعبير الوافى من الوجهين الأدبى والمادي معاً

أخيراً أهل المرأة جسم حيوانى فقط أم هى كالرجل جسم متفكر مقارن مستنتج ؟

انى بوقوفى أمامكم متكلمة مبرهنة أعلن بأجلى بيان ان ما ينطبق على الرجل من هـذا القبيل ينطبق أيضاً على المرأة ولـكن الى أى حد ؟

هنا يلزمنا العود على بدء فقـد آن لنا أن نلج هـذا الموضوع الـكثير الشوك وكفانا خطراً فوقـه ولذا فانه يجب علينا أن نشمر السواعـد كى لا ينخذنا الشوك قانعين بأننا ساوينا الى هنا ما بين الرجل والمرأة فى الظاهر و نفينا عن هـذه سوء ما يقصدها به الـكتاب عنـد ما ينعتونها بأنها لعبة

لو أنه لو عند ما قلنا ان الانسان سواء كان رجـلا أو امرأة انما هو لعبة حية كان قصدنا من ذلك اثبات هـذا الادعاء حرفياً فقط ليس الا لـكان كلامنا صبيانا واستحق أن يقابل بتبسم الازدراء وبهزة أكتاف الضجر والملل

وانما انتخبنا له هـذا التعريف لأنه يفى بالغرض فقد.

رأينا انه ينطبق عليه من قبيل اللفظ . فلنرى الآن وجه انطباقه من قبيل الجوهر . فالانسان بموجب انه تركيب حيّ كثير الاحتياجات لأنه كثير الحركات . ولو لم يخلق اجتماعياً ينفر من الوحدة ويشمئز من العزلة لاقتصرت هذه الاحتياجات على المادة فقط كما هو المشاهد في باقي الحيوانات ولكن كون الانسان اجتماعياً أوجب له غير احتياجاته المادية . احتياجات أخرى معنوية

أما فى الاحتياجات المادية فالرجل والمرأة سيان : هذه تحتاج للأكل والهضم كذاك وذاك يحتاج للرقاد واللبس كهذه لأنهما الاثنين جسم آكل شارب راقد لابس وبالاختصار حيوانى .

وأما في الاحتياجات المعنوية فبين الرجل والمرأة بون عظيم كما سنرى وتنقسم هذه الاحتياجات بحسب منشئها الى قسمين منزلية وخارجية

فالاجتماع المنزلى يوجد للرجل ضرورة السعى وراء حفظ كيان البيت وتقدمه وايجاد اسباب الدفاع الصادة

لما قد يطرأ عليه من الملمات . ويوجد للمرأة ضرورة حفظ ترتيبه ونظامه وايجاد أسباب الهناء فيه بأن تكون باسم السلوان ومرآة الجمال ومحور الهندام

والاجتماع الخارجي يوجد للرجل ضرورة المساعدة في حفظ كيان أمته وتقدمها والدفاع عنها ويوجد للمرأة ضرورة المساعدة في ترتيبها وتعزيتها وتزيينها

وكما أن الرجل يقف على بابه مستعداً اذا اقتضت الضرورة للدفاع والقتال لحماية منزله من نقب أو سلب أو نهب هكذا يجب عليه أن يقف على باب بلاده لا بل بقلب أشد جسارة وبارادة أكثر استسلاماً لدواعي الواجب تاركا ذات بيته اذا لزم الحال ولو للنهب والسلب كي يقوم بما هواهم وأقدس فروضه الا وهو الدفاع عن حمى الديار وحفظ سياجها

هكذا صنع سكان أثينا عند ماسطا عليهم الفرس وسكان روما عند ماانفدع فوقهم وماج بحر الجل . أولئك تركوا منازلهم تنهب والتجأوا الى سفن أسطولهم لأن

فيها كانت نجاة الأوطان وهؤلاء أهملوا بيوتهم تسلب. وتسلقوا أسوار قلعتهم لأن فيها كان أمل تخليص البلاد

وكما ان المرأة تكون فى بيتها مركزاً للنظام ومرهما للأوجاع ومرآة للهناء هكذا يجب عليها أن تقف أيضا خارج. بيتها حيث النظام أكثر صعوبة والاوجاع والآلام أقرب. مورداً والجمال والهناء أقل وجوداً

انظروا الي هذه الأم وأمامها ابنها المطعون بالحراب. والسيوف وعلى رجليها رأسه المحزوزة التى لاتكاد لاتورى. شكلا لكثرة ما التصق به من الأوحال والأوساخ. ولسان حالها ينادى

صبت علي مصائب لو أنها صبت علي الايام صرن ليالى.

أتعلمون من هى ؟

هى كرنيليا ابنة سيبيون قاهر قرطجنة وأعظم رجال. الرومان وهذا ابنها طباريوس الذى قد ذبحه الطمع. الأريستوكراتى لوقوفه فى وجهه مدافعا عن حقوق الشعب. والأمة .

أترون كيف ان الدموع تنسجم على وجنتيها المصفرتين. حارة كجمر الاتون وأكثر على وجنتيها اللتين لا تزال ان تظهر أن أثر يد الجمال فوقها وبعض وريقات ورد الصبا وان ظهرت ذابلة ألوانها الآن : ولكن هل تسمعون كلامها لابنها الأصغر الواقف بجانبها شاخصاً الى جثة أخيه المهانة والى رأسه الملطخة بعين أحرقتها الحزن وأوقد نارها حب الانتقام ؟

يا كايوس ان أخاك لم يمت بل هو صعد وليس على عرش المجد السني الذى لن يصدأ زهوه ولن تقلل من بهائه الايام فاقتف خطواته فأما انك تفوز بما لم يفز به هو من تخفيف مصائب الشعب وهمومه وإما أن تعود الى حضن أمك كما عاد فتصير بكما أسعد الأمهات

وضرورة السعى للرجل وراء حفظ كيان بيته وتقدمه والدفاع عنه توجد له احتياجات هى أولا الشغل والكد ثانيا التفنن والاختراع . ثالثا الاقدام والبسالة

أما الشغل والكد فلسد احتياجات أفراد عائلته المادية

ولذا فانه أوتى صلابة الأعضاء وشدة العضلات . أما التفنن والاختراع فلايجاد أسباب التقدم لها ماديا وأدبيا معا ولذا فانه أوتى اتقاد القريحة وعميق التفكر . وأما الأقدام والبسالة فلضرورة وقوفه كالليث على باب عرينه تارة مدافعا وطوراً مهاجما ولذا فانه أوتى شجاعة القلب وثبات الجنان.

وضرورة المحافظة على كيان أمته ومساعدة تقدمها والدفاع عن ذمارها أوجدت له احتياجات . أولها تقوية عضلاته بالتمرينات الرياضية وثانيها تنوير أفكاره بالرياضات العقلية وثالثها تغذية قلبه بالفضائل المدنية .

أما تقوية عضلاته بالتمرينات الرياضية فلأن كيان الأمة لا يحفظ الا بصحة أفرادها ولا يقوم الصحة ويشدد دعائمها سوى التمرين الرياضى فقدقيل الروح القوية مسكنها الجسد القوى

أما تنوير أفكاره بالرياضات العقلية فذلك لأن الأمم لا تتقدم في معارج الرفاهية والجاه الا بالعلوم والمعارف وهذه حقيقة كادت تضيع ملح معناها لكثرة ما وردت

فى أقوال أعاظم وأصاغر الـكتاب .

وأما تغزية قلبه بالفضائل المدنية فذلك لأنه إذا كان قلب الأفراد جبانا أو كان إنانياً فقـد عدمت كل أسباب الدفاع عن حومة الأوطان مهما كانت أنواع السلاح ومعدات القتال كاملة وكانت الأجسام قوية شديدة

وقد يخال لي أن أقوالى هـذه كلها واضحة حقيقتها . فلا ثمت احتياج لاثباتها بأمثلة تاريخية خصوصاً وإنكم إذا أنتم راجعتم بأعين متبصرة حوادث السنوات الخمس الأخيرة لزادت عبرها كلامى جلاء وأفعمته قوة وعظة

على أن كل تلك الاحتياجات الفردية والأمية الناتجة للرجل عن معيشته المنزلية والخارجية قد تطوح به أحيانا فى بحر ملمات الدهر فيرى الأيام تكشر له عن ناب حاد وقد تقذف به أحيانا أخرى فى مهاوى الضلال والخيبة واليأس وهى تجره دائماً على غرة منه أو على علم الى قسوة الفؤاد وتقسية الاحساس . فيتطلع حوله هائجاً متنهداً عساه يهتدى إلى بصيرة ترشد خطوات لبه أو يرتشد الى صواب ينقذه

من كبوة وخيبة أو يستجلى نوراً يرسل أشعة التعزية والسلوان الى جنانه وقلبه ويذهب ناقا هائماً على وجهه لعله يشعر بيد ناعمة تمد الى أحشائه فتجلو صداء الشدة عنها أو يسمع صوتاً عذبا تذوب له قساوة فؤاده فتعود تبتسم فوقه الأعالى وترجع زهور الحياة فتملأ عليه الهواء شذى وأريجا

ولا بد من شكوى الى ذو مروءة
يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فتظهر حينئذ المرأة أمامه كملاك سماوى حاملة باحدى يديها نبراس الهدى . وغصن السلام ورافعة بالأخرى باسم التعذية ووردة الاحساس الزكى . قائلة له هلم أيها الحبيب واستنشق وثق بأن السموات لن تقفل طالما أنا بجانبك

ذلك لأن ضرورة حفظ ترتيب المنزل ونظامه وايجاد أسباب الهناء فيه توجد للمرأة احتياجات . أولها راحة القلب والفكر . وثانيها سلامة الذوق واصابة الرأى . وثالثها عمق الاحساس وهدو العواطف . أما راحة القلب والفكر فللتفرغ لأشغال منزلها الداخلية التي لاتحتاج لشديد عناء وانما تحتاج

طول الاناءة ولذا فانها لم تعط شدة العضلات وانما أعطيت يشاقتها

أما سلامة الذوق واصابة الرأى فلكي لاتخبط فى تنظيم منزلها خبط عشواء وكى لاتكون فى ترتيب عيشة عائلتها كحاطب ليل أو كجالب رجل وخيل ولذافانها أوتيت حب الهندام وأعطيت رقة الشعور

أما عمق الاحساس وهدو العواطف فللتمكن من جمع كل أعضاء بيتها كما تجمع الدجاجة صغارها تحت جناحيها فتدفئ الكل بحبها ولكن كالشمس التي ترسل مع الحرارة النور والحياة لا كالنور التى تلتهم كل ما تتناوله فتحرقه وتذريه ولذا فانها أوتيت ضعف القلب وينبوع الدموع .

وضرورة المساعدة فى ترتيب حال الأمة وتعزيتها وتزينها توجد لها احتياجات . أولها مبادئ قوية وثانيها قلب حكيم ودود وثالثها فضائل نسائية :

أما المبادئ القوية فلتبثها فى دائرة منزلها فيندفع تأثيرها الى خارج لأن الأمة انما هى مجموع عائلات بها

تصلح أو تفسد هكذا كانت نساء اسبرطايقلن لاولادهن خذوا الترس واذهبوا الى الوغى وعودوا اما به واما محمولين عليه

وأما القلب الحكيم الودود فلكى لا تذبل زهور عزائها حيث يجب أن تبذل شوكه ولا تضن بأعزها وأكثرها رونقا حينما يجب أن تنثرها بيد كريمة . فانما الحروب والأهوال التى تصب ويلاتها علي الجنس البشرى نتيجة اما وضع النساء الندى موضع السيف فى العلى واما بوضعهن السيف موضع الندى وأما عدم وضعهن سيفا ولا ندى لا فى العلى ولا فى الأسفل

وأما الفضائل النسائية فذلك لأن الأمة التى يفقد بين نسائها الحياء ويعدم بينهن الحب الطاهر وتتلاشى فيهن الغيرة على صالح بعولتهن وذوي القربى منهن انما هى أمة قد حكم الدهر عليها بالتلاشى مهما سطعت بين أفرادها أنوار التمدن وانتشرت فيما بينهم عوارف المعارف

فاذا ما حازت المرأة كل ماهى تحتاج اليه من راحة قلب وضمير وسلامة ذوق واصابة رأي وعمق احساس. وهدوء عواطف وكانت عندها مبادئ قويمة، وقلب حكيم ودود وفضائل نسائية . الا تكون هى هى حينئذ تلك الوردة الحساسة التى اذا ماانتشر أريجها تعطرت لها الأرجاء وانفرجت لها الكروب وتهللت لها القلوب وهى المصانة فى طهارة خدرها من أن تعصف فوقه العواصف وتتضارب الانواء . ولكن أن تحوز هذا جميعه وان كانت هى في أشد الاحتياج اليه اذا قفلت الأبواب فى وجهها دون بلوغه اذا عدت من البعض كملبس ينزع ومن غيرهم كلعبة تدار ومن غيرهم كجسم يتلذذ به ومن البعض كمتاع ومن الاكثرين كرق يشرى ويباع . ومن الكل كناقصة التركيب الأدبى والمادى لأنها ليست كالرجل وغير مبالين بأن دعوتها مختلفة ووظيفتها مغايرة ومباينة لدعوة ووظيفة الرجل فى الوجود وانها تكون فعلا ناقصة لوكانت مثله تماما

فدعوة الرجل العمل والتقدم والزود ووظيفته انه هو

الصانع والمكتشف والدافع . ودعوة المرأة الترتيب والتنظيم والتقويم وبت الرأى . ووظيفتها انها هى المساعدة والمدبرة والمعذبة والحاملة أكاليل الغار . تبسم منها ما يغلق أبواب الجحيم . وأن تندى عيناها تنفتح السماء . توبيخ منها يحرك ساكن قوى الطبيعة . ومديح منها ترتج له أركان الاكوان ان تأمر يندلع لسان لهيب الهيجاء . وان تتوسل تخبو انيران الألاء . ان تفسد فسد الرأى . وان تصلح يصلح . ان تختل يختل النظام . وان تستقم يستقم

واننا لو تتبعنا تآليف اعاظم المؤلفين فى ممر الأجيال لرايناهم جميعا ينزلون المراة هـذه المنزلة فسواء تصفحنا شعراء اليونان . او شعراء العرب . او شعراء الافرنج نراهم كلهم يغنون فى هذا الصدد نغامة واحدة على وتر واحد وانى لولا ضيق الوقت لاثبت هذا المقام بالأدلة الدامغة والروايات الوافرة فمن هو ميرلاسكل لعنترة العبسى. لدنت لشكسبير لفيكتور هيجو نرى ان فى افكار الجمع قـد حلت المراة ما ذكرنا لها من المحل فى الهيئة المنزلية والاجتماعية

الفصل الخامس عشر

(١) نقائص المرأة

بقلم الكاتب الاجتماعى الشهير عباس افندى محمود العقاد

فما معنى احترام المراة الذى سمعنا عنه كثيراً في هذه الأيام ؟ ؟

لو أغضينا قليلا عن ذلك الاحترام الشهوانى لما فهمنا لاحترام النساء معني كما أرادوا أن نفهمه

انني إذا التقيت بالنابغة خصته الطبيعة بموهبة سامية أو ميزته بصفة نادرة . أو بالسيد البجال كبير النفس جليل الخطر . لم أملك أن أحترمه . ويكون احترامى هذا له كاحتقارى للزميلة المهيت . كلاهما عن سجية لاشائبة فيها للتكلف والرياء . فهل احترامنا المرأة من نوع هذا الاحترام ؟

كلا :

ليس فى صفات المرأة مايروعنا أو يكبر في أعيننا ،

فأما أن يقال اننا نكبرها لضعفها ، وان الناس قد علوا في الأدب ومكارم الأخلاق فأصبحوا يعاملون الضعيف كأنما قد نسوا ضعفه وقوتهم ، وانهم يحاسنون المرأة — دون سائر الضعفاء — لهذا السبب ! ! فهذا لا يصدقه الواقع ، هذا كلام باطل ! هذا بهتان !

وجدير بهذا الاحترام ان نسميه اشفاقاً ، فانه لا نصيب للضعف من اجلالنا وكل نصيبه من أطيب القلوب وأبرها ألم أو حنان

والمرأة نضو الأسر والعسف ، واهنة الجلد واهية الجسم ، مناقبها وعيوبها مناقب الضعف وعيوبه ، وسيبقى هذا شأنها الى حين

خلقت المرأة أسيرة انفعالات نفسها فما من منقصة أو محمدة فيها الا وهي بنت الانفعال فهي عقيلة الحب في صباها ، أخيذة الدين في هرمها ، وليس للمرأة فضيله صادرة عن صدق الفكر واصالة الرأى ، اذ ليس بين خلالها فيما يعمل الناس أجمل من الشفقة ، وهذه راجعة أيضا الى التأثر

الذى لا فضل لها فيه الا بالاحساس ، ولولا ذلك مااستطعنا أن نفهم كيف تجتمع شفقة المرأة وأثرتها فى نفس واحدة فانهما خلتان متناقضتان ، ولكنهما تردان فى الضعفاء الى مصدر نفسانى واحد ، هو الخوف على النفس

فان المرء اذا رأى الرعب أو الألم فى سواه تمثله فى خاطره مقرونا بما كان يصحبه من شعوره لو أنه وقع لشخصه فهو يجزع على غيره بالقياس الي جزعه على نفسه ، وكلما كان ضعيفاً كان هذا الجزع أشد ، وهذا هو الاشفاق

وهو كلما وسوس له الجزع على نفسه اشتد تعلقه بحياته وعظم شعوره « بأنانيته » وهذه هى الاثرة

بل لولا ذلك مااستطعنا أن نفهم كيف أن هذا المخلوق الرؤوف الوديع ينتفض أحيانا وحشا متنمراً فى قسوته وضراوته ، اذا اهتاج حواسه هائج الحنق والانتقام أو ثارت فى عواطفه كوامن الشهوة والغيرة

وقد تتصف المرأة بالشجاعة ولكنها لاتأتى بها الا من جانب الانفعال أيضاً وهذه جان دارك مضرب أمثال

الشجاعة بين النساء ، تملكها شعور عميق واستولت على مجامع حواسها عقيدة دينية فتمكنت منها ايما تمكن ، واختبلت أعصابها حتى خيل لها أنها كانت تلمح القديسين الغابرين وتسمعهم يكلمونها ، فجعلت هذه الأوهام تقذف بها فى المهالك وهى غائبة عن وجدانها ، وما كذلك يعنون بالشجاعة، وانما هذا هوس يأخذ بالألباب ويضل الصواب

أما ماقيل عن زنوبية وحصافة فكرها وجلدها وقهرها شهواتها وكبحها نزوات الطبع النسائى فى نفسها ، أفلا أعلم أهو صدق أو كذب ، على ان استثناء امرأة واحدة من سائر بنات جنسها في كل هاته الأجيال والقرون ، شذوذ أراه يؤيد القاعدة ولا يفندها

هـذا الضعف الذى يلازم المرأة أبداً قد جعلها قليلة الركون الى نفسها ، عظيمة التعويل على غيرها ، وصغرها فى نظر نفسها فصارت لا ترى لها قدراً الا فى نظر الناس اليها ، وانها لتتعلق لهذا السبب بمن يعرض عنها ولا يحفل بها لانها تحسب أعراضه نقصا فيها على كل حال ، وكثيراً

ما تعالج استمالة ذلك المعرض عنها لتزيل ماعلق بخاطرهامن ريب فى قوة جمالها ونفوذ سلطانها ، والويل لمن تعلم أن لها شأناً كبيراً عنده ، فان الاعجاب بها كل غايتها من الرجل ، فاذا وثقت من ادراكها عنده لم يبق لها شأن معه ، وفرغت منه لتنظر تأثير جمالها فى سواه ، ولعل هـذا الذى يجعل المرأة أحيانا تستصغر نفسها مع الزوج الفاسق وتستصغر الزوج الصالح معها

ولا رأى لها فى الرجال من تلقاء نفسها ، وانما رأيها فى الرجـل هو رأى الرجل فى نفسه ، ولهذا كان أكثر الرجال توفيقا عند النساء أشدهم اغتراراً وزهواً ، حتى لقد وجدت المرأة ترى الجمال فيمن يراه لنفسه ، وان كان الجمال من الأشياء المحسة بالبصر ، ولـكنها لاتستطيع الا أن تسلم باعتداد الرجل الذى تمكن من التغلب عليها باعتداده بذاته وقلة اكتراثه لرأيها فيما قد اعتقدلنفسه من المزايا والصفات

واذا شاهـدتها تصبو الى بعض المشاهير وأصحاب الصيت البعيد من العلماء والـكتاب ، فذلك لهذا السبب

أيضاً . أى لأنه لارأى لها فى الرجل من تلقاء نفسها ، فانها تسمع قول الناس فى الرجل فتتخذه رأياً لها ، فهى إما تؤمن باعتقاد الرجل فى نفسه أو باعتقاد الناس فيه ، ولا ترجع الي نفسها الا قليلا ، وأنا لا أعلم مثالا لهذا القليل

وقد اشتهرت المرأة بالرياء . وهو من علائم ضعف الثقة بالنفس أيضاً ، فيتظاهر المرء بما يروق الناس ويوافق آراءهم ، ارتياباً منه فى نفسه واستصغاراً لرأيه وحقيقة شأنه

فما أشد خطل الذين يعتمدون كل الاعتماد علي اختيار المرأة فى اصلاح الزواج وتحسين نوع الانسان

قال شوبنهور : « المرأة تؤدى ما فرض عليها فى الحياة ، لابما تنجز من الأعمال بل بما تقاسى من الأوجاع فعليها مكابدة آلام الحمل والوضع والسهر علي الطفل وخدمة الرجل الذى ينبغى أن تكون له رفيقا صابرا مؤنسا »

ويكنّ به معلمات صباه ورفيقات أيامه الأولى — ذلك لانهن كالصغار صبيانيات الأميال خفيفات الأحلام قصيرات النظر وأنهن لا يفتأن لاهيات ، فلا تزال المرأة

طفلة كبيرة الجسم فى كل أدوار حياتها »

وما ظلمهن شوبنهور . فهن كما قال لا يخرجن من طور الطفولة أبدا . ولهن فى كل دور من أدوار الحياة ألاعيب وسفاسف تناسب ذلك الدور . فهن أبدا صغيرات وان شبت بأجسامهن الأعوام

فى المرأة من أخلاق الطفل غيرته المضحكة ونزقه السريع واستغراقه فى الحاضر الذى بين يديه ، وقصور نظره على الظواهر والقشور ، ومرحه وغرارته ونفوره مما يهم ويصلح ، ومحاكاته كل ما يراه ، وتعويله فى كافة أموره وأمياله علي سواه ، وتقلبه وكذبه ورياؤه وأثرته وولعه باستطلاع المضمرات والأسرار وجشعه وطمعه وموجدته واقتنائه بالثناء والاطراء

تلك أخلاق لا أحسب أن رجلا لم يتبين بعضها أو كلها فى نفوس عامة بنات حواء

وانى لأميل الى الاعتقاد بأنها أخلاق تخلفت فى نفسها من بقايا الهمجية فى المرأة الأولى . بل هى أخلاق الهمجية

والفطرة لم تقو السنون على تلطيف شرتها وتهذيب طبيعتها ومن أين للزمن أن يخرج المرأة من طور الفطرة وهى لم تزل فيه منذ كانت الى يومنا هذا . وما مارست من الأعمال ما قد مارسه الرجال ولا تنقلت بها المنافسات العمرانية كما انتقلت بهم من أحوال الى غيرها ومن آداب الى أحسن منها

فشغلها اليوم كشغلها قبل التاريخ . فما تزال صارفة كل عنايتها الى تزيين ظاهرها وتحسين هندامها ووسائل إعجاب الرجل بها . ولا يزال لها ولع الهمجى بخرزه وريشه الطويل وشغفه بالألوان المبهرجة الزاهية والصور البراقة الخيالية . وما أفادها تقدم العمران وتدرج العصور الا انها جعلت الطلاء مكان الوشم . والجواهر فى موضع السبج وثقوب الاقراط بعد ثقوب البرى . وعطور الرياحين والزهور بدلا من دخان النـد والعود . مع شئ يسير من التهذيب كان لامندوحة لها عن اقتباسه من الرجل فى عشرة الدار التى تجمع بينهما على تباين الأفكار وتباعد الأوطار

وان الحلى لتفعل بعقل المرأة فعل السحر وتبلغ من نفسها مالا يكاد يصدقه الرجال . وكم قد سمعنا ان عقدا أطاح جيدا . وان جوهرة اضاعت جوهرة عرض وسلبت زينة عفاف . وان اكليلا أطاش رأسا واطار صوابا . وحلة اضنت جدا وأوردت كبدا

(٢) طلب المرأة المساواة

فالاغضاء عن كل هذه الفوارق والذهاب الى المساواة بين الرجل والمرأة بعد وضوح قصورها عنه وظهور نقصها بالقياس عليه ، عبث لا موجب له ولا يفيد

دخل القرن الثامن عشر فى أوربا فرفع حواجز الطبقات ، ونزع حوائل الهيئات ، فصار الناس سواء فى نظر الشريعة وان لم يكونوا كذلك فى نظر الطبيعة وانطلقوا يتبارون كما يتبارى الأكفاء ، فبعد أن كان لكل طبقة زى تعرف به ، غدونا لا نميز بين أقدار الناس باختلاف أزيائهم أو تنسابه بزتهم . وكانت المرأة بما جبلت عليه من خليقة الغيرة أول

من خطا الى هذا المضمار ، فشاقتها الزينة وراح أدنى النساء يقلد أعلاهن فى التبرج والتأنق واقتناء المحملات و المحسنات والمرأة لا ينقصها الاقتناع بوجوب اقتنائها كل ما يتمم حسنها ويجلو رونقها فاذا قصر الرجل فى إيتائها بهذه المطالب فهى فى شرع الهوى بريئة من عهده ، وخير لها أن تلتمس تلك النفائس والتحف عند من يحبوها إياها وهو قرير العين طيب الخاطر ، فاستبيحت الأعراض ، وتراخت ثقة الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وصدف الناس عن الزواج الا القادرون الآمنون ، وهم قليلون

وجاء هذا على أثر عهد فشا فيه أبناء الطبقات العليا وبناتها واتصل منها بغيرها من الطبقات ، فرنق ماء حياتهم وأوهن من حفاظهم وعفافهم

ثم تحول فى ذلك القرن وجه المسألة الاقتصادية واشتد التكالب على الأرزاق، وضاق الخناق، وأخذ الناس بالحجزات والأطواق ، فأصبح أجر العامل لا يفى أكثر من قوته وحاجه ومأواه ، فضلا عن أن يمون به سواه ، فزاد ذلك فى

احجام الرجال عن الزواج ، وقلل شيئاً فشيئاً من عـدد المتزوجين والمتزوجات

كان من هذا وذاك أن كثر بين النساء المنقطعات اللاتى لا محيص لهن عن السعى لأنفسهن ، فطرقن أبواب الأعمال يزاحمن عليها الرجال ، ثم رأين أنه قد آن أن يساوين الرجال في الحقوق وقد حملن أنفسهن واجباته ونزلن معه فى هذا المجال ، فصحن يطلبن تلك المساواة الصورية التى نالها قبلهن نساء الطبقة العليا بحكم ثروتهن والبيئة التى هن فيها . لا بالعلم أو مساواة الرجل فى القدرة والفهم

على أن من تبين ضعف المرأة ثم ما وهبتـه من جمال الظاهر ورأى كيف تحتال به على مطالبها ، وتستخدمه فى مآربها ، وانها لا تعدل به شيئاً من مفاخر الحياة . ولو أوتيت العلم والحـكمة ، أو رزقت الملك والعظمة على انه حل منها محل القوة من الرجل . وانها انما وهبته ليكون سلاحها الذى تحفظ به حياتها فى هذا الوجود . ولئن صدئ فى هذه الأيام فرنده أو تثلم حـده ، فأولى بها أن تعمد الى صقله وشحذه

من أن تصول بسلاح سواه لا يدفع عنها أذى ولا يردمن مصاوليها أحدا

وليس الا غرور كالغرور الذى لا نصادف مثله فى غير بنت حواء يزين لها أن تقول للرجل :ـ

« أنا ربة الجمال ، وصاحبة القوة فوق الجمال ، أسمي سعيك ، وأدأب دأبك ، وليس هذا كل ما عندى ، بل انك لتعمل ولا عائق لك يثنيك عما أنت آخذ فيه أما أنا فأعمل كما تعمل فى حين أنهض باعباء الحمل والوضع والحضانة والتربية فأغالت عاملى التعب والألم ، وانت تنوء بواحد منهما ولا أراني قانعة بأن أكون مثلك ، بل انى لاصلب منك عودا واشد جلدا واجمل منظرا وأحدّ ذكاء وو ..

ولا ندرى بعد هذه الدعوى . اتتجاوز المرأة عما فرضته على رجال من واجب احترام الضعف فيها ؟ ؟ ام تتقاضاهم بعده واجب احترام السيادة والساطان

ان الرجل والمرأة صنوان خلقا ليعيشا معاً ، ولا بد لاحدهما من ميزة على الآخر ينتظم بها امر المعيشة بينهما

فمن ترى يكون صاحب الميزة منهما ؟؟

(٣) تعدد الزوجات

ولقد هال شوبنهور كثرة فرائس العزوبة فى أوربا فعمد الى وصفة شرقية . وقال بوجوب الاقتداء بأمم الشرق فى إباحة تعدد الزوجات

ونحن ننقل كلمته فى هذا الصدد حتى يفقه القراء ماذا هون على حكيم غربى أن ينصح قومه بالرجوع الى ما نعالج التخلص منه في شرقنا . ونعده منكرًا تجب إزالته . قال :

« يقضى الزواج فى البلاد التى تقصر الرجل على زوج واحدة بتنصيف حقوق الرجل وتضعيف واجباته . واذا كان القانون يمنح المرأة كل ما يسمح به للرجل فقد كان حقاً عليه أن يمنحها عقلاً كعقله واستعدادًا كاستعداده . وأنه بقدر ما تزيد هـذه الحقوق والمزايا التى خصت الشرائع بها المرأة عن مقدار ما خصتها به الطبيعة ، نرى هنالك نقصاً بيناً في عدد النساء اللاتى ينتفعن فعلا بتلك الحقوق والمزايا وعلى

ذلك فلا نتيجة لاثبات هذا النص فى شرائعنا الا أنها حرمت فريقاً من النساء حقوقهن الطبيعية بقدر امتاعها الفريق الآخر منهن بحقوق فوق ما يجب لهن ويناسب طبيعتهن

فان هذه الميزة المجافية للوضع الطبيعي، التي نالتها المرأة بحكم سنة الوحدة فى الزواج وما يتبعها من أصول الزوجية وحدودها فصيرتها نداً للرجل مساوياً له . وما هى كذلك فى الواقع . — إن هذه الميزة من شأنها أن تجعل عقلاء الرجال وأذكياءهم يترددون طويلا قبل الرضاء بما يقضى به الزواج من التجاوز عن حقوقهم والتجرد عن مزاياهم . فينشأ من ذلك أنه بينما تجد كل امرأة عائلاً لها بين الأمم التى أساغت تعدد الزوجات . نرى من جهة أخرى أن عدد النساء المتزوجات فى البلاد التى حظرته محدود بالنسبة الى عدد لا يحصى من بنات جنسهن يظلن ولا عائل ولا ولى لهن ، فيعيش بنات الطبقات العليا منهن عيشة تبتل عقيم ، ويعانى الأخريات أشق الأعمال وأفدح الأثقال ويتلوثن بلوثة العهر فيقضين حياة بعيدة عن السرور بعدها عن الشرف ، ثم يصبح

وجودهن فى هذه الحالة أمرا لازماً ، فيتخذهن المجتمع درعاً يذاد به عن عفة اخواتهن اللائى أسعدهن الجد بالزواج أو بانتظاره ، وان فى فرنسا وحدها ثمانين ألف بغى ! ! فهل يقال الا أن هؤلاء النسوة الشقيات ، انما هن ضحايا بشرية على مذابح وحدة الزوجية ؟

هؤلاء النسوة هن الكفة الشائلة في ميزان ترجح فيه حقوق المرأة من جانب لتهبط من الجانب الآخر، ولا مناص من وجودهن الى جانب « السيدات » اللائى يحميهن نظام وحدة الزوجية فى أوربا فيظهرن بما يطيب لهن من ادعاء وخيلاء .

ومن ثم فتعدد الزوجات سنة نافعة للنساء باعتبارهن نوعا . هذا على أننى لا أرى ثمت مانعا معقولا يصد رجلا أصيبت زوجته بداء عضال أو بقيت عاقرا لا تلد ، أو كانت لا تناسبه سنا ، من أن يقترن بزوج أخرى ، وان كثيرا من الناس يصبأون الى مذهب المورمون ليصبحوا فى حل من الاقتران بأكثر من واحدة » اهـ

ولا يعجبني هـذا المذهب التجارى في الزواج . ولا أستحسن أن يكون القوت هو الجامع بين الجنسين لما سأبينه بعد ، ولـكن الذى أراه وأحسب أننى مصيب فيه أنه سواء كان الزواج موحدا أو معددا ، شرعياً أو مدنيا ، لا يحسن أن يترك للمرأة كل الرأى فيه

(٤) الانتخاب الجنسى

فلست ممن يرجون من الانتخاب الجنسى نفعا للمرأة أو لنوع الانسان ، مادام الانتخاب على هـذا النمط ، وان البقرة لتنفع نوع البقر بغريزتها الانتخابيـة أكثر مما تنفع المرأة نوع الانسان ، ذلك لأنه ليس للمرأة كما قدمت رأى ذاتى فى الرجل فهى لا تحسن الاختيار ولا تتحرى الأصلح فى تمييزها بين الرجال

وليس أيسر على من رام أن يتحقق ذلك من أن يلحظ أحوال رجالنا وينظر فيم جعلتهم المرأة يتنافسون بينهم لاسترعائها واجتذاب قلبها

فالفتيان لا يزالون يتبارون فى التعطر . وصف الطرر . وفتل السبال ، ورشاقة المشية والتأنق فى الهندام والترصد في الطرقات ، الى ماشا كل ذلك مما لا يتعدى الجمال الظاهر ، ويؤدى المكوف عليه الى سقوط الهمة وموت النفس

فليت هذا الانتخاب الجنسى إذ أخفق فى تحسين الأجيال المقبلة ، قد سلم الجيل الحاضر من شره ونجا من بوائقه !!

والمرأة — ما تركت لنفسها — راضية بذلك منهم لا تكلفهم التباهى بمكرمة أو التسابق الى فضيلة ليستحقوا ودها ويرجحوا سواهم لديها

وليس هذا فى مصر بلد المرأة الجاهلة ، ولكنه كذلك فى أوربا . بلد السوبرومان المترقية ، وما أكثر « الظرفاء » هنا وهناك ممن لا هم لهم الا التصدى للنساء فى كل مكان !

أما من عداهم الشباب وخلفهم رونق الصبا ،فأولئك

يتجاذبونها بالنوال ، ويرغبونها بالمال ـ والمال بغية نفس المرأة . به تقتني نفيس العقود وثمين الجواهر وسني الثياب. وزكى الروائح والعطور ، وتزدهى على أترابهـا ، فهو اذا لم يرض عاطفة العشق فيها أرضى عاطفة الغيرة ، وكلتاهما بالمنزلة الأولى بين عواطف نفسها

والمرأة مادية فى رغباتها ومقاصدها ، فقد يتسلى الرجل عن حاله بالفلسفة كما يقولون ، وتأبىَ هى أن تتجاوز ببصرها الواقع الملموس ، وقد يجل الرجل عظيما زريا ولا ترى المرأة فيه إلا ما يضحك منه ويتنادر عليه

وهناك رجـل من زمرة أسميها قرود النساء ، لا هو بالفتى الوسيم ، ولا بالغنى الـكريم ، ولـكنه ذو حظوة عند المرأة ـ ذلك رجل سبر طباعها وخبر تقلبات أهوائها فعرف مايضحكها ويعجبها، ومايسرها ويحببها ، فيتلاعب بعواطفها يأتيها من جانب غرورها اليوم ومن جانب غيرتها غداً ومن جانب مشتهياتها وهواجسها مرة أخرى . فتستملح عشرته وتستطيب حديثه . وما أقرب ما بين الحب والاستحسان

في قلوب النساء

وانا لنسمع عن نفور زوجات العلماء والعقلاء من أزواجهن وتبرمهن بعشرتهم . وما لذلك من سبب الا أنهم لا يتنزلون الى ارضاء صغائر المرأة ولا يحسنون ما يحسنه هؤلاء القرود

فليس أحظى عند المرأة من هؤلاء الثلاثة ـ فتي ذو جمال . أو صاحب مال ونوال . أوخلب نساء ختال . تتخيرهم وتقدمهم على سواهم . وماهم بأطيب الأزواج ولا بأحسن الآباء ولا بخير الرجال

وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذي لا تصبحينا

الخاتمة

الزوجة أساس البيت وقاعدته فليس الا بها يدعى منزلا ويسمى بيتاً . إذ كانت هى واسطة عقدة ودرة تاجه ووردة أكليله وكانت سلك نظامه وقطب رحاه وجماع شمل مزاياه ومحاسنه . فبالزوجة يستكمل البيت مناعمه ومباهجه ويستتم فضائله ومناقبه وغير خاف على ذوى الألباب ان البيت المستكمل المستتم هو رأس السعادة واسّ الرخاء والغبطة — مهما قلت فيه آلات الزخرف والزينة . ومهما أقفر من مظاهر الأبهة والفخار والسرف والترف . وقد جاء في الحكمة الفرنجية « البيت بيت مهما تطامن واتضع »

والبيت اذا أضاف الى الحاجيات الضرورية والعيش الكفاف والسهل القريب من مستحب الملاذ ومباح المطارب

واللهو الحلال — محاسن الزوجة الطيبة الكريمة من براعة أدب وعذوبة أخلاق ورقة شيم وحلاوة شمائل وحسن مولساة — كان مجمع المسار . ومستودع المبارّ .

والبيت اذا ازدان بحلاوة الزوجة وتحلى بجمالها كان من تمام استيفاء نعمة الله فيه واستيعاب آلائه أن يكون خلوياً تضحك له الطبيعة ويغذوه الريف بطيباته ولا ضرورة أن يزين بأثمن آلات الترف والتأنق فحسبنا بالطبيعة مزخرفاً ومزبرجاً . ومنمقاً ومدبجاً . وأجمل البيوت مافرشه العشب ، وغرسه الكرم ، وأضاءه القمر ، وعطره النسيم وطرزه الورد ورصعه البهار . وأطرب أهله هديل الورقاء وهدير القمرية والمكاء .

وشاهدنا الجل والياسمين والمسممات بقصابها

فاذا كان لا بد من المنزل المبنى المشيد فأعطنى بيتاً بساطه القش الذى أجد فيه بلل الثرى ورطوبة الروض وليكن مملوءاً بالنوافذ المشرفة على المزارع والحقول وليكن قريباً من الأرض كيلا يعلو على أذرعة النبات والدوح

المتدة لمعانقته وعلى شفاه الورد ومباسم الأقحوان المشرئبة لتقبيله ولثمه . ولا بأس أن تزخرف جدرانه بالصور التى كلها جنات ورياض فكأنها مرايا قد انعكست فيها محدقات البيت ومكتنفاته .

ومن أجزل النعم المنزلية السكون . وحسبك دليلا على ذلك ان الطبيعة نفسها ساكنة . فاذا قيل فماذا تصنع العصافير والمياه والرياح قلت تالله ماصوتت هذه العناصر الا لتزيد السكينة سكوناً . وانى أسأل القارئ هل يرى بين سكون الطبيعة وبين هذه الأصوات المذكورة تناقضاً وتنافراً كالذى يجده اذا هاجم أذنيه جلبة أناس يضحكون ألا يرى ان هنالك وفاقاً ووئاماً ، وتناسباً والتئاماً ، بين أصوات الرياح والطير وبين سكينة الطبيعة وهدوء السموات والأرضين ، أجل بين هذه وتلك اتحاداً وتلاؤماً وامتزاجاً كالذى يرى بين شتى آلات الطرب اذا انبرت تصدح نغمة واحدة فى أنشودة واحدة ،

ولكن تاج المناعم المنزلية وأكليل المباهج البيتية

هو كما أسلفنا الزوجة الطيبة الكريمة ، فاحرص عليها كل الحرص فان من نالها انساقت له الدنيا بأجمعها ومن خسرها خسر الدنيا بأجمعها ؟

تم كتاب المرأة الجديده ولله الحمد أولا وآخراً

